القرآن الكريم وتنمية الوعي بالتاريخ

أ.د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي (*)

(*) أستاذ ورئيس قسم العقيدة والدعوة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت.

بحث مدعوم من إدارة الأبحاث، جامعة الكويت تحت، رقم (H B04\02).

شكر وتقدير

لأنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس، أتقدم بخالص الشكر والتقدير لإدارة الأبحاث بجامعة الكويت؛ لتفضلها بتمويل بحث القرآن الكريم وتنمية الوعي بالتاريخ" تحت رقم (H B04\02).

وآمل أن يحقق البحث مقصود الجامعة من هذا النشاط العلمي، والله المستعان.

ملخص البحث:

من المتفق عليه: أن الوعي بالتاريخ، وتفهم السنن الكونية والاجتماعية مطلب هام؛ ليمارس الإنسان دوره الحضاري، ويؤدي رسالته كما جاءت في الإسلام خاتم الرسالات، وهذا ما أشار إليه وحث عليه القرآن الكريم.

وأمتنا وهي تعيش مأزقاً حِضارياً – حيث لم تعد إسهاماتها بقدر رسالتها – يلزمها تأصيل الوعي بالتاريخ، ويلزمها معرفة السنن التي تحكم الازدهار والإنكسار؛ ليتسنى لها العودة من جديد إلى ريادة حضارية سجلها تاريخ الفكر الإنساني، وما كانت إلا تطبيقا لفهم المسلمين للسنن الإلهية في قيام الحضارات، فاهتمامهم بالعلم وهو فريضة، وبالعمل وهو عبادة، وبالوقت وهو حياة، تجربة ينبغي أن نمعن النظر فيها، حتى تكون محاولتنا للخروج من مأزقنا منطلقة من ثوابتنا، ومن تجارب بشرية وثيقة الصلة بنا، لا نقلاً لتجارب تختلف معنا منطلقاً وغاية.

وقد حفلت كتب السنة بالحديث عن الزمن والأيام والشهور في سياقات تشريعية، مثل الحداد على الزوج ونحوه، وسياقات ترغيبية في العبادة، وكذا الإشارة إلى الزمن ومستقبل السلوك فيه قرباً من الدين أو بعداً.

والنتيجة المرجوة من بحثنا عن القرآن وتنمية الوعي بالتاريخ هي أن نشعر بقيمة الزمن، وأن ينعكس هذا الشعور على سلوكنا؛ حتى لا يهدر الزمن ونتخلف عن ركب الحضارة بإهداره، باعتباره هو الحياة، وهو إطار العمل والجهد الذي ينبغي أن يبذل لتغيير الواقع إلى الأمثل والأفضل.

مقدمة

لقد أصبح النداء بعودة الأمة إلى مصادر ثقافتها وتجارب عقول علمائها أصبح ضرورياً للنهضة والتعبئة لموقف تشارك فيه الأمة في الحضارة الإنسانية المعاصرة، مثلما شاركت وأعطت في فترات ازدهار ثقافتها وحضارتها.

وتلبية النداء المشار إليه يكون بإسهام القادرين على وصل الأمة بمصادر دينها قرآناً وسنة، وبتراثها الذي يمثل عقلها وتجاربها في ضوء هدى المصادر وضوابطها.

وتتعدد المشاركات، كل حسب الزاوية التي يدخل منها إلى وصل الأمة بمصادرها وتراثها، وهذا التنوع يحتاجه موقفنا الحالي حتى تتجمع كل المشاركات لتمثل الإيقاظ والتعرف إلى طريق النهضة والحضارة.

ولأني أومن أن الوعي بالتاريخ والإحساس بالزمن، نقطة هامة في التوجه نحو التقدم والاستفادة من الماضي لفهم الحاضر واستشراف المستقبل، لأني أومن بهذا آثرت أن أقدم مدخلاً يصلح لإثارة قضية الوعي بالتاريخ وكيف يتكون، فكان هذا البحث الذي عنونت له بـ "**القرآن الكريم وتنمية الوعي بالتاريخ**".

وقصدت . فيما قصدت . أن أربط بين القارئ والقرآن في هذه النقطة من جهة، وأن آخذ بيده إلى دراسة السنن ودورها في صناعة الحضارة وفهمها فضلاً عن النظر في الحضارات الأخرى وكيفية التعامل معها حواراً ومعايشة.

وقد جاء هذا المدخل أو البحث الداعي إلى مزيد من البحث في تمهيد ومبحثين وخاتمة.

اهتم التمهيد ببيان بعض الضوابط والمفاهيم التي تهيئ ذهن القارئ لما سيدخل فيه بعد التمهيد، كما حدد التمهيد بعض مصطلحات عنوان البحث.

ويجيء المبحث الأول وعنوانه: الإنسان في التاريخ والتصور الإسلامي، يجيء في مطلبين هما:

(١) الإنسان في التصور الإسلامي، وفيه إشارات قرآنية توضح رسالة الإنسان في الحياة ومسؤوليته التي كرم من أجلها، والتي تقتضي عملاً يثمر حضارة وعمراناً.

(٢) التاريخ من مصادر المعرفة عند المسلمين، وفيه إشارات قرآنية تشير إلى مكانة التاريخ بين مصادر المعرفة عند المسلمين وإلى الاعتبار والإفادة من تجارب الأمم في انتصارها وانكسارها.

أما المبحث الثاني فجاء عنوانه: القرآن وتزكية الوعي بالتاريخ، وهذا المبحث يمثل صلب البحث، لذا جاء في مطالب عديدة جميعها لتبرز محتوى هذا المبحث.

فقد عالج هذا المبحث نقاطاً هامة مثل:

* دعوة إلى استخدام ملكات الوعي في الإنسان:
  مثل: السمع، والبصر، والنظر بتعدد معانيه.
* توعية الإنسان بموقعه من العالم:
  - آيات الاستخلاف.
  - آيات التسخير.
* تنمية الإحساس بالزمن
  - الحديث القرآني عن الماضي.
  - الحديث القرآني عن المستقبل.
  - الزمن الكوني والزمن الواقعي.
* توعية الإنسان بالسنن الحاكمة للكون والتاريخ:
  - السنن الكونية – السنن الاجتماعية.

كل هذه النقاط عولجت بمنهج الإيجاز الذي يؤدي إلى المعنى والهدف المراد، مشيراً إلى مظنية التفصيل لمن يريده علماً وتعليماً.

أما الخاتمة: فلم ألخص فيها البحث كما تعود الكثيرون، لكني أثرت من خلالها نقطة تضاف إلى صلب البحث وتستثير همماً لدراسة أخرى، وذلك حين أشرت إلى اهتمام السنة بالزمن، والوقت، وحين أشرت إلى الإحساس بالزمن في تراثنا من خلال كتب معينة يقاس عليها غيرها مما هو في بابها، الأمر الذي يؤكد أن تراثنا هو صدى لمصدرينا قرآناً وسنة، وهذا يعني أن علينا أن نفيد من هذا التراث. ولعل هذا يثير همة دارس فيكمل ما بدأناه، وحسبنا أنا نسهم بمدخل يمكن أن يدخل منه أصحاب الهمم والطموحات مشاركين في إخراج الأمة من مأزقها الحضاري.

وتجيء الفهارس العلمية مكملة ومفيدة للقارئ والدارس.

والله المستعان.

تمهيد:

هذه محاولة تمثل مدخلاً لدراسة واسعة عن الوعي التاريخي وكيف يتكون؛ لتشمل جوانب كثيرة بعضها تاريخي، وبعضها نفسي، وبعضها بيولوجي في ضوء الرؤى والفلسفات الدينية والوضعية.

وحتى يتحقق هذا الأمل فإني أقدم هذا المدخل مثيراً به القضية، غير زاعم أني استقصيت جوانبها بقدر ما أدعي أني سأشير إلى أهم عناصرها، من زاوية نظر إسلامية تعتمد القرآن الكريم مصدراً أساسياً للفهم والتحليل، مكتفياً ببعض النماذج الدالة على النقطة موضوع البحث لأن الاستقصاء والحصر أكبر من حجم هذا المدخل وهدفه المشار إليه قبل سطور.

وأرى أنه بين يدي نقاط هذا المدخل ينبغي أن نشير إلى ما يلي:

أولاً: من المسلم به: أن الإنسان كائن له تاريخ، وأن الكون الذي جاء إليه الإنسان أخذ طابعاً جديداً بعد خلق هذا الإنسان بقدرات ومسؤوليات خاصة، ومن المسلم به كذلك: أن هذا الكائن الواعي تختلف درجات التطور في تاريخه عن درجات التطور في حياة الكائنات الأخرى؛ لأن الإنسان يطور تاريخه بناء على وعي به، بينما تتطور الكائنات الأخرى بحكم عوامل لا إرادة لها فيها، فضلاً عن أن البعض يرى أن تجارب هذه المخلوقات - إن صح تسميتها بالتجربة إذ التجربة تستلزم الوعي - هي هي تكاد تتماثل إلى حد كبير(١) فضلاً عن أن الإنسان هو الذي أظهر برصده تاريخ الكون لكن هذا كله مع دلالته على تميز الإنسان في هذا الصدد لا يعني أن الإنسان يصنع التاريخ بمفرده، أو أنه العامل الوحيد في صناعة التاريخ، بل الحق في هذه المسألة أن هذا الكون الذي هو مسرح أحداث التاريخ، والذي يتعامل معه الإنسان بقوانينه المادية هو مخلوق لله سبحانه، ومخلوق لحكم: بعضها ديني، وبعضها اجتماعي. وربما خفى علينا من الحكم الكثير. وعليه فإن إرادة الإله الخالق وحكمته في

---

(١) محمد قطب/ حول التفسير الإسلامي للتاريخ/ ٢٤ نشر المجموعة الإعلامية/ جده د.ت.

خلق الكون بمكنوناته وقوانينه، وإن هذا الكون بماديته وزمانه، هذان عاملان لا يمكن أن يغفلا ونحن نشير إلى دور الإنسان في المسألة التاريخية(١).

وعلى هذا هو الذي جعل "توينبي" وغيره من أصحاب التفسير الحضاري يعلنون أن الحدث التاريخي لا يمكن أن يصنعه عامل واحد؛ لأن الحركة التاريخية نتاج لقاء خلاق بين الله والعالم والإنسان، وذلك ليتفادوا أخطاء سابقيهم من أصحاب التركيز على عامل واحد(٢).

ثانياً: الإنسان هو الكائن الواعي بالوجود:

شاءت إرادة الخالق سبحانه أن يخلق الإنسان مزوداً بطاقات تبدو في مظهرها أنها تكريم للإنسان، وهي كذلك، لكنها أعطيت له عوناً على مسؤوليته التي نيطت به من الخلافة والعمارة والعبادة.

ومن بين ما أعطى الله للإنسان منافذ الإدراك من حس وعقل والذي عبر عنها القرآن الكريم مبيناً ربطها بالمسؤولية ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾ (الإسراء/ ٣٦).

فهي مصدر للعلم، ومنفذ للوعي بالوجود، وطريق للتعرف على خالق هذا الوجود، والوعي – هنا – ليس مقتصراً على الحاضر، بل يتمكن العقل من تأمل الماضي الذي يأتيه في صورة خبر يسمى بالتاريخ، وإدراكه وتأمله هو أساس الوعي التاريخي، وإن كنا ندرك أن الوعي التاريخي ليس وقوفاً عند الماضي، بل ولا عند الحاضر، وإنما لابد من تعانق الماضي والحاضر لاستشراف المستقبل وإلا فقد الوعي بالتاريخ قيمته.

وإذا كان السمع والبصر والفؤاد أو العقل أظهر المدارك الواعية فإن في

---

(١) عماد الدين خليل / التفسير الإسلامي للتاريخ /١٦، دار العلم للملايين، بيروت / الطبعة الأولى ١٩٧٥م.

(٢) السابق / ١٨، عبد الحميد صديقي / تفسير التاريخ / ترجمة كاظم الجوادي / ٦١ – الدار الكويتية للطباعة والنشر.

الإنسان مدارك أخرى، مثل اللمس والذوق والشم، وهذه كلها لها وثيق الصلة بالمعرفة في جوانبها المختلفة، المادية وغير المادية(١).

وهذا الوعي الإنساني بما يقتضيه من حرية وإرادة منحهما الله للإنسان، كان موضع اهتمام الرسالات والفلسفات بكل أنواعها، وما الحديث عن مصادر المعرفة ووسائلها وانقسام الناس في الفلسفة الغربية إلى حسيين وعقليين، وما حديث علماء وفلاسفة الإسلام عن الحس والعقل وأيهما يكون حاكماً وأيهما يكون محكوماً، وما إلى ذلك، أقول: هذه الأحاديث كلها دليل على أن الوعي الإنساني بكل ملكاته رافد أساسي من روافد المعرفة، تفهماً لكونٍ يعيش فيه، وماضياً وحاضراً، وإداركاً لمسؤولية تنمية هذا الكون، كل هذا في ضوء التعاليم الإلهية التي حملها إليه وحي من الله سبحانه على يد رسل كرام، أخذوا بيد البشرية نحو الأمثل في استثمار هذه الطاقات الواعية(٢).

ثالثاً: ماذا نقصد بالوعي التاريخي؟

من خلال ما تقدم من إشارة إلى طبيعة الإنسان الإدراكية، ودوره المهم في التاريخ صناعة ورصداً، ومن خلال الهدف الإسلامي من دراسة التاريخ وقصّ القصص، وهو الاعتبار ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٢﴾ (الحشر/٢)، ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ﴾ (يوسف/١١١).

من خلال هذا وما هو في بابه نعني بالوعي التاريخي كيفية استثمار الطاقة الواعية من خلال دراسة التاريخ، باعتباره نشاطاً إنسانياً تحكمه سنن وقوانين يمكن من خلال فهمها الإفادة من الماضي للحاضر والمستقبل.

ووفق هذا الفهم فأنا لا أعني ببيان التفسير الإسلامي للتاريخ باعتباره

---

(١) أبو اليزيد العجمي/ الإنسان بين المسئولية والتكريم /٦٣ طبعة ثانية/ المؤسسة العربية الحديثة ١٩٨٨م، مصر.

(٢) عبد الله الشاذلي / ملكات الوعي الإنساني في القرآن الكريم / ٤٦ طبعة أولى / ١٩٨٧م، دون ناشر، أبو اليزيد العجمي / نظرات في المعرفة الإنسانية بين الفكر الإسلامي والفلسفة الغربية / ١١٠، ١٢٥، الطبعة الأولى / ٩٣، دون ناشر.

علماً إسلامياً(١) في مقابل التفسيرات الأخرى للتاريخ بشكليها الديني والفلسفي(٢)، وإنما أشير هنا إلى كيف يُنشِّط فهمُ التاريخ حركة الإنسان ووعيه بمسؤولياته، وكيف تكون هذه الفاعلية طريقاً للخروج من أية كبوة حضارية، باعتبار أن السقوط الحضاري لا يعني حتمية البقاء فيه، لأن نشوء الحضارات تحكمه سنن، وسقوطها تحكمه سنن، وإمكانية الخروج تحكمها سنن تاريخية أرادها الله؛ لتحكم وترشد حركة الإنسان في الحياة.

وهنا نذكر بقوله تعالى ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ (آل عمران/ ١٤٠) وقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد/ ١١).

رابعاً: إذا كنا نتحدث – هنا – عن الإنسان المسلم في ضرورة إفادته من الإشارات القرآنية وأن هذه الإشارات تنمي وعيه وتكون لديه الحس التاريخي الدافع إلى حركة إيجابية في الحياة تطويراً للحاضر وتخطيطاً للمستقبل، أقول إذا كان هذا توجه حديثنا، فإننا نعي الحقائق التالية:

أ – نعي أن القرآن الكريم لفت نظر الإنسان من حيث هو إنسان، يتجلى هذا في التعبيرات القرآنية، مثل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ (النساء/ ١)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧﴾ (الانفطار/ ٦–٧)، ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ (الأعراف/ ٢٧). وحتى في الحديث عن خلق آدم جاء التعبير القرآني ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة/ ٣٠).

---

(١) عبد الحليم عويس/ تفسير التاريخ علم إسلامي/ ١٢، دار الصحوة ١٩٨٧م، مصر.

(٢) انظر/ أحمد صبحي/ في فلسفة التاريخ/ ١٥، ٤٥ وما بعدها، محمود الشرقاوي، التفسير الديني للتاريخ/ ١٢٥، ١٤٧.

ب - نعي كذلك أن الإسلام هو دين الله إلى البشرية منذ آدم عليه السلام إلى آخر الزمان، وأن تسميته بالإسلام سابقة على زمن البعثة المحمدية ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ (الحج/٧٨). وقد استوعب الإسلام كل الرسالات السابقة، وأضاف إليها مقتضى العالمية والخاتمية، واعتبر الأمم السابقة مراحل تاريخية يستفاد من تجربتها في تكوين الوعي لدى المسلم، كما جاء في قصة سبأ وغيرها من القصص القرآني.

ج - نعي أنه لو أتيحت لنا نصوص الرسالات السابقة على حقيقتها دون تحريف أو تبديل فلن نجد فيها شيئاً يخالف الإشارات القرآنية، باعتبار أنها جميعها من عند خالق الإنسان سبحانه.

المبحث الأول
الإنسان والتاريخ في التصور الإسلامي

يتضمن هذا المبحث مطلبين أساسيين:

المطلب الأول
الإنسان في التصور الإسلامي

إذا كانت صفة خلق الله لكل مخلوقاته ومنها الإنسان هي الإتقان والحكمة وحسن الخلق، كما جاء في قوله تعالى ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ﴾ (النمل/٨٨)، وقوله سبحانه ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ﴾ (السجدة/٧).

فإن الإنسان ناله حظ وافر من التكريم الذي هو في الحقيقة عون على المسؤولية التي نيطت به كخليفة في الأرض وحامل للأمانة التي أشفقت من حملها السموات والأرض والجبال.

وجاءت هذه التكريمات لتضع الإنسان موضعاً معيناً في هذا الكون، ونشير إلى أهم مظاهر التكريم الذي يهيئ صاحبه للمسؤولية ويعينه عليها:

أ - فهو مخلوق مكرّم بصفة عامة كما يفهم القرطبي وغيره من المفسرين من قوله تعالى ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾ (الإسراء/٧٠).

ذلك أن القرطبي بعد أن استعرض آراء المفسرين لأنواع التكريم: كالنطق والتمييز، واعتدال القامة، وامتدادها، وحسن الصورة، وتسخير الكون له، والكلام، والخط، والفهم، ثم بعد هذا يقول القرطبي:"والصحيح الذي يعول عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف، وبه يعرف الله ويفهم كلامه، ويوصل إلى نعيمه، وتصديق رسله، إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد

بعثت الرسل، وأنزلت الكتب، فمثال الشرع: الشمس، ومثال العقل: العين، فإذا فتحت وكانت سليمة رأت الشمس، وأدركت تفاصيل الأشياء"(١).

ب – وإذا كان القرطبي قد فهم من هذه الآية أن المعول عليه هو العقل، فإن آيات أخرى تتحدث عن أنواع عديدة من التكريم في الخلق مثل: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ (التين/ ٤) وقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ (الانفطار/٦– ٧ –٨).
وقوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩﴾ (الحجر/ ٢٩).

ج – كذلك ينبغي أن ندرك أن العقل وإن كان يعوّل عليه فإن الحس نعمة وتكريم؛ لأنه طريق وعي العقل والقلب، لذا فإن السمع والبصر والفؤاد واللسان والشفتين مظاهر للتكريم المحقق للمسؤولية ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٢٣﴾ (الملك/ ٢٣).
﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩﴾ (البلد/٨ –٩).

د – كذلك من التكريم لهذا المخلوق المسؤول أن يرسل الله رسلاً يرشدون اجتهاده، ويمثلون المرجع لحركته التي تنبثق من مادة الجسم ونور العقل ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ (المائدة /٣٢).
﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ﴾ (النساء/ ١٦٥).

وما كان إرسال الرسل حَجْراً على عقل الإنسان ولا على حريته، لكنه كان تبصيراً بما ينبغي أن يكون عليه عمل العقل واستخدام الحرية؛ كي لا يضل الإنسان أو يشقى(٢).

---

(١) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن / ٥/ ٢٩٤، نشر المكتبة العربية، مصر ١٩٦٧.
(٢) الإنسان بين المسئولية والتكريم / ٥٢.

هـ - كذلك كانت الحرية والإرادة التي منحها الله للإنسان من أبرز مظاهر التكريم؛ لأنها ميزت فعله بالقصد، وحددت نشاطه بالهدف والوعي بالوسيلة المناسبة له.

ورغم كثرة الحديث في جدل تاريخي عن حرية الإنسان وعدمها فإن حريتنا واقع وضرورة، واقع لما نلمسه من التفرقة بين أفعال لا إرادة لنا فيها كالموت ونحوه، وأفعال نختارها بإرادتنا، وضرورة؛ لأنها طريق لمسؤولية ووعي بهما يفترق الإنسان عن سائر مخلوقات الله سبحانه في هذا الكون، "وحتى الذين ينكرون حرية الإنسان ويقولون: إن الله سبحانه خلق للناس الحرية، أي أنه اضطرهم أن يكونوا أحراراً مختارين، حتى هؤلاء يعترفون بهذا الواقع، فإنه إذا كان الله سبحانه قد اضطر الناس أن يكونوا أحراراً فقد أصبحوا أحراراً، وهذا هو الذي يعنينا من الحرية كيفما كان السبيل إليها "(١).

لكن تصور الإسلام للإنسان لا ينحصر في هذا الجانب، أعني تكريمه، بل لابد من الربط بين هذا التكريم والمسؤولية التي نيطت به، كما تتجلى في الخلافة والعبادة والعمارة، فالعبادة تعني الامتثال لأمر الله ونهيه، والعمارة تعني تحصيل ما به تزجية المعاش لنفسه وغيره، والخلافة تعني الاقتدار بالباري سبحانه على قدر طاقة البشر(٢).

وتعظم هذه المسؤولية بقدر ما احتاجت إلى عون إلهي تمثل في التكريم، الأمر الذي يجعلنا نرى أن الإنسان مخلوق مسؤول أعين على مسؤوليته الصعبة بتكريم يساعده على تحمل هذه المسؤولية(٣).

ومهما قيل عن معنى الخلافة فهي تبعية ومسؤولية، يورّثها السلف للخلف

---

(١) العقاد/ الفلسفة القرآنية /١٦٩، والإنسان في القرآن /٢٥٧، ضمن إسلاميات العقاد/ ومحمد قطب /الإنسان بين المادية والإسلام /١١٤، طبعة أولى.

(٢) الراغب الأصفهاني / الذريعة إلى مكارم الشريعة / ٩٢، بتحقيقنا، دار الوفاء / ١٩٨٨م.

(٣) الإنسان بين المسئولية والتكريم / ٧٥.

ويتوقف على أدائها تحقيق مناط التكريم، كما يرتبط هذا بوجه آخر باستمرارية الدين وخاتميه الرسالة.

ولفظ الاستخلاف يتسع ليشمل صورة الإنسان وهو يزرع مادام ذلك من أجل تحصيل قوته حلالاً؛ ليتمكن من العمل المنوط به في عمارة الأرض كما يشمل جهده العقلي وهو يفجر الذرة، ويرسل الأقمار الصناعية؛ لتكشف له طبيعة الغلاف الجوي مادام كل ذلك طريقاً يبتغى به وجه الله وتحقيق معنى الخلافة والعبادة(١).

وإذا كان هذا هو التصور الإسلامي للإنسان ودوره فإنه يبرز لنا أمرين هامين:

- **الأول:** أن هذا الإنسان مزود بفاعلية هي التي تعطي الكون تفسيراً تاريخياً معيناً، أي تخرجه من كونه مادة صمّاء في ظاهرها إلى مكنونها المزودة به حيث لا يفتح كنوزه إلا للإنسان الفاعل والمؤثر في حركة الزمان والمكان؛ لأنه لا معنى لكل ما كرّم به الإنسان إذا لم يكن للاستثمار بكل صنوفه، وتلك دلالة واضحة على أن هذا الإنسان كائن تاريخي إفادة وصياغة.
- **الثاني:** أن الإنسان - وفق التصور الإسلامي - ليس من حقه أن يهمل طاقاته، ولا أن يمتنع عن استخدامها؛ لأنه إن فعل ذلك سلبت منه إنسانيته حتى ولو ظل محتفظاً بشكل الإنسان، هذا في الدنيا، أما في الآخرة فيحاسب على هذا الإهمال وعدم استخدام ما مُنح إياه، فيكون له عقاب مثل عقاب المفسدين عن عمد وإصرار.

وحسبي - هنا - أن أشير إلى آيتين من كتاب الله، يقول الله سبحانه: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ۝١٧٩﴾ (الأعراف/ ١٧٩).

وقوله سبحانه ﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ

---

(١) سيد قطب / خصائص التصور الإسلامي / ١٢٧، طبعة الاتحادات الطلابية بأمريكا.

وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ٣٨﴾ (الأعراف/٣٨).

فعدم استخدام الإنسان لحريته وعقله في رفض التضليل جر على صاحبه العذاب في الآخرة، كأنه ساهم في الإضلال بسكوته عن مقاومته.

المطلب الثاني

التاريخ من مصادر المعرفة عند المسلمين

حين يتحدث المسلون عن مصادر المعرفة يذكرون مصادر ثلاثة ويتناولونها كالآتي:

١ - العقل: من حيث إنه مشترك بين الخليقة، وسابق على الوحي.

٢ - الوحي: باعتباره المصدر الإلهي للمعرفة ومنه تعرف قيمة العقل، وقيمة التجربة، ومسائل الغيب التي لا يستطيع العقل معرفتها، وهي مسائل الإيمان وما يتصل بها من أمور العقيدة، لذا فتقديم العقل في مباحثهم ليس لترتيب الأهمية بقدر ما هو لترتيب الوجود.

٣ - التاريخ: استدلالاً من الوحي على أهميته، وذلك من خلال ما أعطى الوحي الخبر من أهمية، وما قصه علينا من قصص الأنبياء وغيرهم(١).

والصلة وثيقة بين هذه المصادر، حيث يقوم العقل بالنظر فيما وصل إليه من خبر ونظر بصري، كما يقدم الوحي - كما سيجيء - الإشارات المنشطة للوعي الإنساني - حسه وعقله - ويأتي التاريخ مادة من مواد النظر العقلي والتأمل في سننه وقوانين أحداثه.

وقد تحدث العلماء عن العقل من خلال تعريفات متعددة للمحاسبي، وابن

---

(١) رزق يوسف الشامي/ مناهج علماء الكلام/ ٤٨، بحث للدكتوراه مخطوط بدار العلوم/ ١٩٩٠م.

حزم، والجويني، ومجموعها يقرر أن العقل أداة يتوصل بها إلى العلوم النظرية ومقدماتها من الضروريات، ولذا فهو يعي نوعين من المعقولات:

١ - البدائه: وهي التي لا تحتاج إلى تأمل وتدبر.

٢ - العلوم النظرية: وهي التي تحتاج إلى تأمل وتدبر(١).

ولقد جاءت مباحثهم حول العقل انطلاقاً من الفهم القرآني لقيمة العقل والحث على التأمل والنظر.

وأما حديثهم عن الوحي باعتباره خبر السماء ورسالة السماء إلى الأرض، فقد جاء مبيناً أنه المصدر الأساسي للعقيدة والشريعة، وأنه الفارق بين الرسالات الإلهية والأديان الوضعية، وأن الأساس فيه أنه هدى للبشر، الأمر الذي جعلهم يفهمون قصصه وأخباره على أنها توجيه تربوي، وإيقاظ للمدارك تفيد منه في إثراء الحياة(٢).

وقد ربط بعض العلماء بين الوحي والعلوم كلها إذ اعتبروه الأساس الذي تبنى عليه كل العلوم دون أن يصلح العكس، أي لا تبنى العلوم الدينية على أساس العلوم الأخرى(٣).

لكن الذي يهمنا - هنا - هو ما ذكره الحليمي (ت ٤٠٣هـ) حيث ربط الوحي بيقينية الأخبار التي أساسها السمع، بمعنى أنه جعل الخبر وسيلة نقل الوحي، وأصل الخبر: السمع الذي هو أصل الكلام "أصل الكلام يسمع، ولا يمكن فيه غيره، ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة/ ٣١)، وهذا السمع إن هو إلا الوحي والتعليم الإلهي(٤).

---

(١) الجويني / البرهان في أصول الفقه/ ١/١١٣، الطبعة الأولى دت، تحقيق د/ عبد العظيم الديب.

(٢) السيوطي / الإتقان في علوم القرآن / ١/٥٩، طبعة الحلبي، دت.

(٣) أبو الحسن العامري/ الإعلام بمناقب الإسلام /١٠٧ تحقيق أحمد غراب، دار الكاتب العربي ١٩٦٧م.

(٤) الحليمي / المنهاج في شعب الإيمان / ١/٢٥٨ تحقيق حلمي محمد فوده، دار الفكر ط١/ ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩م.

هكذا يتعانق الوحي والعقل، ويهيئ الوحي الذهن لأهمية التاريخ مصدراً للمعرفة.

فالتاريخ يمثل العلم اليقيني الصادق، مثلما يمثل أوائل الحس العلم الصادق؛ لأنه يعني المشاهدة التاريخية، أو بتعبير بعض الباحثين التاريخ المحسوس، وذلك لأن المعرفة المكتسبة بواسطة هذا العلم إذا ما كانت مقيدة بالشروط والأحكام والضوابط الخاصة بها فإنها تنتج مقدمات تعتبر في يقينيتها أشد من أوائل الحس والعقل، وقد تتفق معها وتتساوى أحياناً، بيد أن ما يعرف عن طريق الحس والعقل يتصف بالتمام والكمال(١). "فبالخبر يتسع نطاق الحس، وتتداح دائرته لاشتماله على الكليات والمعينات، والشاهد، والغائب"(٢).

وقد جاءت هذه القيمة للتاريخ من نظرة العلماء إلى علوم الإنسان ومصادرها، فقالوا: أن الماضي معلوم معدوم في زماننا، لكنه وجد من قبل، كفعلنا في الزمن الماضي، وفعل غيرنا من أقوال وأفعال وما إلى ذلك من تصرفات.

وهذا النوع لا يمكن أن ينكره عاقل، كما أنه لا سبيل إلى معرفته إلا بالخبر والوقوف على يقينية هذا الخبر، الأمر الذي لابد له من شروط وضوابط تجعله يقيناً(٣).

وقد كانت هذه النظرة ليقينية الأخبار هي التي جعلتهم يصفون لها شروطاً؛ كي تتحقق، وكان حديثهم عن التواتر من منطلق الربط الضروري بين السمع والبصر والعقل، أي بين الحس والعقل ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾ (الإسراء/٣٦).

والتاريخ – وفق هذه النظرة – يوسع التجربة البشرية؛ لتمتد أوسع من

---

(١) رزق الشامي / مناهج علماء الكلام ٦٨.

(٢) ابن تيمية / درء تعارض العقل والنقل /٧/ ٣٢٤ – تحقيق محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام.

(٣) الباقلاني / التمهيد / ٤٠.

عمر الإنسان ونظره، وإلا لما كان هناك أثر للمعارف والاكتشافات السابقة في حياة من لم يحضرها بحسه وجسمه زماناً ومكاناً، والواقع يشهد بأنه ليس في إمكان الإنسان أن يجري كل ما يسمع من تجارب، الأمر الذي يفرض عليه أن يكتسب توسعة لتجربته من التاريخ المكتوب والمسموع، وما وقع فيه من أحداث وتجارب كتبت في صحائف أو رويت مشافهة(١).

"فلولا الاكتشافات والإنجازات العلمية التي قام بها أمثال ابن الهيثم، وجابر بن حيان، وغيرهما من علماء المسلمين، والتي تمثل البداية لما قام به جاليليو، ونيوتن، وأمثالهما لولا ذلك لبدأ المتأخر من حيث بدأ المتقدم، لا من حيث انتهى"(٢).

أما الحديث عن التواتر وشروطه ما يتصل منه بالخبر وما يتصل بالمخبرين وما يتصل بالسامع، فهو باب من أدق أبواب المناهج عند المسلمين، لكنه هنا ليس من همنا، فقط يكفي الإشارة إلى أن العلماء المسلمين اعتبروا العلم الحاصل بالخبر المتواتر قريناً للخبر والحكم الذي هو للعادة، ذلك أن السمع وسيلة للمعرفة كالبصر تماماً، لا من حيث الوظيفة، ولكن من حيث الإخبار المتواترة، الأمر الذي صيَّر السمع مدركاً للتجارب بوجه ما(٣).

وقد بنى كثير من العلماء نظرتهم هذه على أساس قاعدة تبليغ الشاهد للغائب، ولربما أفاد الغائب بعد الخبر أكثر مما أفاد الشاهد، حيث رأى، تأملاً واعتباراً، ونحو هذا، والحديث الذي روي بألفاظ متقاربة يقيد هذا، وهو "ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه"(٤)، وفي معناه ما رواه الترمذي "رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه"(٥).

---

(١) الله يتجلى في عصر العلم /١٢٩.

(٢) مصطفى محمد حلمي / مناهج البحث في العلوم الإسلامية /١١، الطبعة الأولى. محمد الجليند / نظرية المنطق / ٢٦٨، طبعة أولى.

(٣) البرهان للجويني / ١/٥٨٢.

(٤) فتح الباري / ١/١٥٧، ١٥٨، وكذا مسلم / ٢٨١٩، بشرح النووي.

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي / ٧/٤١٦ / ط٢/١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م/ مطبعة الفجالة الجديدة / القاهرة.

تعقيب

قلت: إذا كان هذا هو الإنسان في التصور الإسلامي بطاقاته ومسؤولياته، وإذا كان هذا هو التاريخ ومكانته في العلم الضروري، فإن الطبيعي والمنطقي أن يهتم كتاب الإسلام "القرآن الكريم" بتنمية طاقات الإنسان المدركة بما يقصه عليه من تاريخ وأخبار تزكي همته وتدفعه إلى مسؤوليته، وتمكنه من مراجعة موقفه الحضاري، وتوقفه على قضايا منهجية تتمثل في السنن ليعلم أن هذا الكون المسخر له يتطلب منه جهداً عقلياً؛ لكي يتناغم معه، ويستفيد منه، ولعلنا فيما نشير إليه في المبحث القادم نصل إلى توضيح هذه الحقيقة والله المستعان.

المبحث الثاني
القرآن وتزكية الوعي بالتاريخ

نشير في هذا المبحث إلى نماذج من منشطات الوعي بالتاريخ لدى الإنسان، وليس الحصر هو طريقنا - فهذا دونه الوقت والإيجاز - وإنما هي إشارات يمتلئ القرآن الكريم بمثلها، بل وبغيرها مما يعاضدها، ولكن حسبنا هنا أن نشير إلى ما يؤكد أن جانب الوعي الإنساني بالتاريخ موضع اهتمام القرآن الكريم؛ لارتباطه الوثيق برسالة الإنسان في الحياة.

ويجيء هذا المبحث في مطالب:

المطلب الأول
دعوة إلى استخدام ملكات الوعي في الإنسان

تحدث القرآن الكريم عن ملكات الوعي للإنسان بقسميها الحسي والعقلي وربط بها مسؤولية الإنسان في سلوكه الذي ينبغي أن يكون عن علم وليس عن ظن، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ (الإسراء/٣٦). فهي طريق العلم بالماضي والحاضر ورؤية المستقبل.

وفي آيات كثيرة لفت النظر إلى أهميتها وضرورة استخدامها، بل وبيان أن إيقاف عملها عقاب يستحقه من لا يؤدي رسالته في الحياة. ونحن - هنا - سنشير إلى السمع، والنظر الذي يحتوي النظر الحسي والعقلي:

[أ] السمع (المباشر والمروي):

- يرتبط السمع بالإيمان ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ (الأنعام/٣٦).
- ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (الروم /٢٣).

- ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ ۚ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (٢٦)﴾ (السجدة/٢٦).
- ﴿أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠)﴾ (الأنفال/٢٠).
- ﴿فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ (التغابن/١٦).

كما يرتبط النكوص عن الإفادة عن السمع بالعقاب:

- ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (٢٢) وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٢٣)﴾ (الأنفال/٢٢، ٢٣).
- ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ (النساء/٤٦).
- ﴿وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٢١)﴾ (الأنفال/٢١).
- ﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُولَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ (١٧٩)﴾ (الأعراف/١٧٩).

هذه الإشارات تفيد أن للسمع مكانته في تلقي الخبر مباشراً من متحدثه أو رواية عن حدث كان، وقد امتن الله على الإنسان بخلقه مزوداً بهذا الوعي فقال في آيات كثيرة وفي سياقات متعددة: ما يؤكد قيمة هذه النعمة ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ﴾ (الملك/٢٣).

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ﴾ (الأنعام/٤٦).

ولأهمية السمع في التعلم والإفادة من الماضي للحاضر جاء أمر القرآن الكريم للرسول صلى الله عليه وسلم أن يعلم أتباعه من خلال قصص حدث في الماضي من قصص الأنبياء وغيرهم. ويجيء الأمر الإلهي بلفظ " اتْلُ عَلَيْهِمْ" أو "وَاذْكُرْ"

أو غيرهما، وأحياناً تذكر القصة في القرآن الكريم على سبيل الرواية، دون أن تصور بلفظ من الألفاظ السابقة، وهذا معناه أعلمهم، أو أخبرهم، والحاسة الأولى التي تنشط في الإنسان - هنا - هي السمع، وإن كان المقصود أن هذا المسموع يخضع للتأمل والاعتبار منه، لكن المنفذ المدرك - هنا - أولا هو السمع، ثم يليه ما يليه من عمليات إدراكية أخرى. نشير إلى بعض الأمثلة:

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا
وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ (٢٧)
لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ
أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٢٨) إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ
أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ
فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ
لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ
هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ (٣١) مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ
كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي
ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا
ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم
بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ (٣٢)﴾ (المائدة/ ٢٧ - ٣٢).

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ (٦٩) إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ (٧٠)
قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ (٧٢)
أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ (٧٤) قَالَ
أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ (٧٥) أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ
إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٧٧) ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ (٧٨) وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي
وَيَسۡقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ (٨٠) وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ (٨١)
وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ (٨٢)﴾ (الشعراء/ ٦٩ - ٨٢).

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا (٤١) إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ

لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا (٤٢) يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا (٤٣) يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا (٤٤) يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا (٤٥) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا (٤٦) قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا (٤٧) وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا (٤٨)﴾ (مريم/ ٤١ – ٤٨).

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا (٥٤)﴾ (مريم/ ٥٤).

وفي سورة مريم كثير من هذه الإشارات الموجزة إلى بعض الأنبياء.

﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ (٢١)﴾ (الأحقاف/ ٢١).

ولم يكن الأمر وقفاً على الأنبياء فقط، بل كان هناك قصص لغير الأنبياء، مثل قصة ولدي آدم كما أشرنا، ومثل قصة قارون كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ (٧٦) وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ (٧٩) وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ

ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ (٨٠)
فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ
وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ (٨١) وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ
وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ
عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ (٨٢) تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا
لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ (٨٣)﴾
(القصص/٧٦ – ٨٣).

وقصة أصحاب الجنتين: في سورة الكهف:

حيث قال تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ
أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا (٣٢) كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ
تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا (٣٣) وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ
يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ
لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا (٣٥) وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ
وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا (٣٦) قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ
يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا (٣٧)
لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا (٣٨) وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ
مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا (٣٩) فَعَسَىٰ
رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ
صَعِيدٗا زَلَقًا (٤٠) أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا (٤١) وَأُحِيطَ
بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ
يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا (٤٢) وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا
كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا (٤٤)﴾(١).

وتأتي قصة أصحاب الجنتين في سورة الكهف لتجسد "نموذجاً إنسانياً

---

(١) سورة الكهف / الآيات ٣٢ – ٤٤.

لطائفة من الناس: نموذج للرجل الثري، تذهله الثروة، وتبطره النعمة، فينسى القوة الكبرى التي تسيطر على أقدار الناس والحياة، ويحسب هذه النعمة خالدة لا تفنى، فلن تخذله القوة ولا الجاه، وصاحبه نموذج للرجل المؤمن المعتز بإيمانه، الذاكر لربه، يرى النعمة دليلاً على المنعم، موجبة لحمده وذكره، لا لجحوده وكفره "(١).

وهذه كسوابقها من الإشارات القرآنية تصب في قناة نقل تجربة الماضي للإفادة منها في الحاضر والمستقبل. ومنها جميعاً يتكون وعي بالزمن وإحساس بضرورة الإفادة من كل ما ينقل إلينا عن طريق السمع والذكر مما لم تشاهده في زمنه وحدثه.

قلت: إخبار الإنسان بهذا القصص رافد تعليمي بمحتواه وما يتضمنه هذا التعليم من دعوة لتأمل هذا المحتوى، ففي قصة ولدي آدم: سنة الصراع بين الحق والباطل وتاريخيتها وأزليتها، وفي قصص الأنبياء: سنن الدعوات والأقوام، والحوار الذي دار بين الأنبياء وأقوامهم، وفي قصة قارون: إطلالة على بعض نوازع النفس البشرية مما يطغيها ويجعلها لا تعترف بالفضل لذويه. وهكذا وهكذا، وما كان ليعلم الإنسان هذه المعلومات لو لم يكن له سمع يستقبل به، ثم يحيل المسموع إلى فرزه العقلي؛ ليخرج منه بالنتائج المبتغاة.

وفي هذا دعوة واضحة إلى تنشيط هذه الطاقة الإدراكية؛ لتعي ما كان، كما تعي ما هو كائن.

[ب] النظر بتعدد مناحيه:

تتعدد مناحي النظر، فتارة يكون بالبصر فيما يراه الإنسان، وتارة يكون في أحقاب مضت من التاريخ وحركة الإنسان، وتارة يكون بتأمل المسموع واستخراج السنن والآيات منه، وكله نظر وإن اختلفت أشكاله، وفي جميعه

---

(١) سيد قطب / في ظلال القرآن ٤/٢٢٧٠ – الطبعة الشرعية التاسعة ١٩٨٠م / دار الشروق، بيروت.

تنشيط للطاقات المدركة في الإنسان، ولأن هذه الطاقات تتلاحم وتتكامل فإنا نعتبر النظر بمناحيه المتعددة عاملاً مهماً في الوعي بالتاريخ.

- لقد دعي الإنسان أن ينظر إلى ما حوله إلى طعامه ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ (٢٤) أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا (٢٥) ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا (٢٦) فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا (٢٧) وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا (٢٨) وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا (٢٩) وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا (٣٠) وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا (٣١)﴾ (عبس/ ٢٤ – ٣١).
- وإلى خلقه ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ (٥)﴾ (الطارق/ ٥).
- وإلى الملكوت ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ (الأعراف/ ١٨٥).
- وإلى التاريخ وحركة الإنسان ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ﴾ (غافر/ ٨٢).
- وإلى الطبيعة حوله وهي توجد بفضل الله ورحمته ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾ (الروم/ ٥٠).
- وإلى الحياة الأولى كيف بدأت ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ﴾ (العنكبوت/ ٢٠).
- ولم يكن المقصود هنا مجرد تحرك النظر والبصر، بل المقصود الأول أن تتحرك البصيرة وتفهم ماذا تدل عليه هذه المنظورات. وإلا فما جدوى نظر لا يعقل، ﴿فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ﴾ (الأنعام/ ١٠٤).

وما ذلك إلا لأن كل طاقات الإنسان المدركة تتكامل لتتحمل مسؤولية ابتلاء الإنسان على هذه الأرض.

وإذا كنا قد أشرنا إلى السمع والنظر بقسميه الحسي والعقلي وأشرنا إلى تكاملهما معاً، فإننا نذكر كذلك أن القرآن الكريم أعطى العقل أهمية خاصة في آياته، باعتبار أن كل هذه الطاقات هي وعي الإنسان الذي به تحمل المسؤولية في إعمار هذه الحياة.

- ففي ما يقرب من خمسين موضعاً في "القرآن الكريم" حث على تحريك العقل الذي هو المفتاح الذي منحه الله بني آدم، وقال لهم: افتحوا به أبواب الكون، وادخلوا ساحة الإيمان بالله الذي سخر لكم ما في السماوات والأرض ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢٤٢﴾ (البقرة/٢٤٢).
- وآيات أخرى دعت الإنسان إلى التفكير العميق، المتبصر المسؤول، عن كل ما يحيط به من علامات وأحداث وأشياء وموجودات ﴿قُل هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ٥٠﴾ (الأنعام/٥٠).
- وإلى التفقه وهي خطوة أعلى من مجرد الإدراك؛ لأنه يمكن الإنسان من أن يعي الكون بما فيه وحاضره في ضوء رسالته فيه(١).
- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٣﴾ (الرعد/٣).
- ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١﴾ (النحل/ ١١).
- ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣﴾ (الجاثية/١٣).
- ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۚ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ ٢٧﴾ (السجدة/ ٢٧).
- ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤﴾ (عبس/٢٤).
- ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ٥﴾ (الطارق/٥).
- ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠﴾ (الأنبياء/١٠).

---

(١) عماد خليل / التفسير الإسلامي للتاريخ / ٢٠٩ - ٢١٢.

- ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٦٤﴾ (البقرة / ١٦٤).
- ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٢﴾ (النحل/١٢).
- ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦﴾ (الحج /٤٦).
- ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٣٥﴾ (العنكبوت/٣٥).
- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٢٤﴾ (الروم/ ٢٤).
- ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٢٨﴾ (الروم/٢٨).

المطلب الثاني

توعية الإنسان بموقعه في العالم

لم يعرف الإنسان مكانه أو مكانته إلا بإخبار القرآن الكريم عن ذلك من خلال تاريخ يرجع إلى ما قبل خلق الإنسان ذاته، وذلك أن القرآن الكريم لفت نظر الإنسان إلى العلاقة بين الثلاثية الشهيرة: الله .. العالم .. الإنسان.

وبمعرفة العلاقة وترتيبها يعرف الإنسان مكانه فيها.

فالله سبحانه هو الخالق لهذا الكون من عدم، وهذا ما يسميه البعض بإرادة الله المباشرة أو فعله المباشر في هذا الكون ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ (السجدة/ ٤).

وقد كان ذلك قبل خلق آدم، كان حين، قال ربنا للسماء وللأرض: ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١﴾ (فصلت/ ١١).

ونلاحظ هنا أن الزمن الذي حدده القرآن في ستة أيام ليس كزماننا الواقعي، كما أخبر القرآن الكريم ﴿وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ٤٧﴾ (الحج/ ٤٧).

ولذلك فليس من المنطقي أن نشغل بالنا بحساب كيف تم هذا الخلق الهائل في أيام ستة، وبعد خلق هذا الكون بما فيه خلق الله آدم، وسواء أكان خلقه مباشرة أم كان بعد مراحل مر بها من الطين اللازب فإن آدم قد خلقه الله سبحانه.

إذن نحن أمام إله يخلق ما يشاء، وقد خلق الكون في ستة أيام.

وأمام آدم الإنسان، وأمام الكون الذي خلقه الله سبحانه بما فيه ومن فيه.

وصحيح أن الله سبحانه يظلل هذا الكون برعايته المستمرة، لكنه سبحانه شاء أن يخلق الإنسان؛ ليقوم بدور في هذا الكون، وبه تتحدد العلاقة بينه وبين هذا الكون.

هذه العلاقة لم يعرفها الإنسان إلا من خلال الخبر القرآني، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ (البقرة/ ٣٠).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ

فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ (الأحزاب/ ٧٢).

وقد ذهب المفسرون مذاهب شتى في معنى الخلافة تتراوح جميعها بين إقامة الحق والعدل ومحاربة الفساد، وإعمار الأرض، واستثمار المسخرات، وفي عمومها تظهر الدور الفاعل للإنسان في أحداث التاريخ(١).

هذا الدور الذي عرفه الإنسان من خلال خبر القرآن الكريم عن خلق آدم ومسؤوليته التي أشرنا إليها، أو التي اقتضت عوناً من الله تمثل في تكريم هذا المخلوق بمظاهر للتكريم مختلفة. أقول: هذا الدور التاريخي يظهر من خلال آيات تتحدث عن الاستخلاف، وآيات تتحدث عن التسخير، ومن كليهما تظهر طبيعة العلاقة بين الإنسان والكون.

من آيات الاستخلاف:

- ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾ (فاطر/ ٣٩).
- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾ (الأنعام/ ١٦٥).
- ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ (النور/ ٥٥).
- ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ (يونس/ ١٤).

---

(١) ابن كثير/ ١/ ٦٩-٧٢ / سورة البقرة.

والناظر إلى هذه الآيات وغيرها مما هو في بابها يلحظ أن هناك علاقة وثيقة بين العمل والإبداع ومجانبة الفساد في الأرض، وتلقي القيم والتعاليم والشرائع عن الله والالتزام الكامل بها خلال الجهد البشري، وإلا حبط العمل وفسد الدور الإنساني(١).

كما يلحظ الناظر أن الاستخلاف هو الدور التاريخي الذي قام به الإنسان وعليه أن يقوم به في كل عصر، وبمقدار نجاحه فيه تتحقق ذاته ويمكن من السيادة في الأرض، فضلاً عما يدخر له من جزاء هذا الإعمار في الآخرة، وهذا الاستخلاف في حقيقته يضم عبادة الإنسان لله تعالى؛ لأنها تعني وقوفه عند حدود أمره ونهيه، كما يضم عمارة الأرض التي تعني تزجية المعاش لنفسه وغيره.

وإذا كان الله سبحانه قد خلق الكون بفعله المباشر، واستمر فعله المباشر رعاية للكون، ومساندة للرسل بمعجزات تخرق النواميس، وبسنن طبيعية واجتماعية تسير وفق سنن الله في هذا الكون، أقول: إذا كان هذا فيما يتصل بالله سبحانه، فإن الإنسان في حركته التاريخية يقف عند حدود استخدام الكون وفق السنن؛ لأن ما منحه الله إياه من الطاقات يقف به عند هذا الحد؛ لأنه يعمل في هذا الكون وفق إرادة الله التي قضت بأن يكون الإنسان حراً ذا عقل يعمله في الكون ليستجلي قوانينه حتى ينتفع به.

من آيات التسخير:

لقد هيأ الله الكون للإنسان؛ لأنه مكان العمارة والعبادة والخلافة، فكان أن سخر الله للإنسان هذا الكون، لكن هذا التسخير لا يمكن أن يفيد الإنسان منه إلا إذا عرف قوانينه، وهذا ما يكمل خلافته التي هي دوره، كما جاء في قصة خلق آدم في القرآن الكريم:

---

(١) عماد خليل / التفسير الإسلامي للتاريخ /٩٣.

- ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ٣٢﴾ (إبراهيم /٣٢).
- ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ٣٣﴾ (إبراهيم /٣٣).
- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٤﴾ (النحل/١٤).
- ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ (لقمان/٢٩).
- ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾ (الجاثية/١٣).
- وإذا كان هذا التسخير يقضي بأن يبذل الإنسان جهده لاكتشاف قوانين هذه المسخرات فإن هناك تسخيراً آخر تحدث القرآن الكريم عنه، وهو ما جاء في نطاق المعجزات لبعض الأنبياء، وهذا يريد الله به أن يذكر عباده أنه قادر على خلق ما يثبت صدق أنبيائه، نصرة لهم، وتثبيتاً، وتعليماً لأممهم. من هذا النوع قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ﴾ (الأنبياء/٧٩).
- ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ١٨﴾ (ص/١٨).
- ﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ٣٦﴾ (ص/٣٦).

فإذا أضفنا إلى ما فهم من آيات التسخير وآيات الاستخلاف، الآيات التي تدعو إلى النظر والتأمل فيما حولنا مما أشرنا إليه آنفا، أمكننا أن نقول: إن تنكير الإنسان وتعريفه بدوره التاريخي من خلال قصة خلق آدم وقصص من استخلفوا بعده، تؤكد اهتمام القرآن الكريم بشحذ همة الوعي الإنساني بالتاريخ زمنه وحوادثه في ضوء سنن الله في الكون.

بقى أن نقول: إن الله سبحانه وهو يحدد دور الإنسان ويهيئ الكون له

يعرفه، كذلك بما ينبغي أن تكون عليه العلاقة بينه (الإنسان) وبين خالقه سبحانه، إيماناً برسله وتصديقاً بكتبه، وتنفيذاً لأوامره، وجرياً على سننه في الكون، وإلا تعرض للعقاب، كما جاء في حديث القرآن الكريم عن الأقوام الذين أعرضوا فعوقبوا، والذين حاربوا الأنبياء فعوقبوا، وهذا واضح في قصص الأنبياء، وفي قصص القرآن بعامة، وربما تعرضنا – عبر حديثنا عن السنن – لإشارة تجلي هذا الأمر.

لكن الذي نعنيه – هنا – هو أن القرآن الكريم حدد للإنسان دوره التاريخي تعاملاً مع الكون، وإيماناً بالغيب، يتجلى في الالتزام بكل ما أمر الله به ونهى عنه.

المطلب الثالث

تنمية الإحساس بالزمن

غنى عن البيان أن الزمن هو وعاء الأحداث التاريخية، وأن الإحساس به يساعد في فهمها، كما أنه – أي الزمن – عنصر هام من عناصر صناعة الحضارة باعتبارها حدثاً تاريخياً، وتنمية الوعي به لدى الإنسان يمكنه من تفسير الحاضر بكل ما فيه بانتصاره وانكساره من خلال الماضي، وهذا يساعد بدوره على الرؤية للمستقبل بشكل تتفادى فيه أخطاء الحاضر من خلال العبر المستقاة من الماضي.

وقد أفرد القرآن لهذا الأمر مساحة كبيرة، تمثلت في قصص السابقين من أنبياء وغيرهم، كأصحاب الجنتين، أو أصحاب الكهف، أو قصة سبأ، أو قصة قارون، ونحو ذلك، كما تمثلت في توجيه الحس الإنساني صوب المستقبل، ذلك أن الحاضر يشعر به الإنسان من خلال ممارسته، وإن كان القرآن الكريم لم يغفل هذا الحاضر، وذلك في الآيات التي تأمر الإنسان بالنظر فيما حوله من كائنات، أو تأمره بالاستجابة للأوامر الإلهية، مثل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤﴾ (الأنفال/ ٢٤).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ (النساء/١٣٥).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ (المائدة / ٥١).

وغير هذا من هذا الباب كثير في القرآن الكريم؛ لأن الحديث عن الحاضر – كما ذكرت – يشمل الأوامر التشريعية، وبجانبها الأوامر بالنظر في الطعام والشراب.

وغير هذا مما أشرنا إليه آنفاً. لذا سنشير إلى آيات تمثل الماضي وأخرى تمثل الحاضر.

وقبل أن نذكر أمثلة من هذه الآيات نشير إلى أن القرآن الكريم تحدث عن الوقت (الليل والنهار) كما حدث المكلفين عن الوقت وربط العبادات به، مثل قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨﴾ (الإسراء/٧٨).

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝١٨﴾ (الروم/١٧-١٨).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٨٣ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١٨٤ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٨٥﴾ (البقرة/ ١٨٣-١٨٥).

إلى غير هذه الأمثلة في القرآن الكريم.

آيات تتحدث عن الماضي (إلى جانب قصص الأنبياء والقصص بعامة):

- ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ (الأنعام/٦).
- ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا ٧٤﴾ (مريم/٧٤).
- ﴿فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ٦﴾ (الأنعام/٦).
- ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ﴾ (الإسراء/١٧).
- ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ (القصص/٤٣).
- ﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ﴾ (السجدة/٢٦).

هذه الآيات ونظائرها تجذب وعي الإنسان إلى الماضي؛ ليعلم ماذا كان من سلوك هؤلاء الناس، وكيف كانت عاقبتهم، وذلك ليعلم ما ينبغي أن يكون عليه موقفه، ومن المعلوم بداهة: أن التجربة الإنسانية تتكامل، فينتفع الإنسان بما في تجربة الآخرين، سواء في باب العلم - وهو ما يسمى بالتراكم المعرفي - أو في باب التاريخ، وهو ما يسمى بالاعتبار.

آيات تتحدث عن المستقبل

وهنا نشير إلى أن تقسيم الزمن إلى ماض وحاضر ومستقبل هو تقسيم يتناسب مع محدودية الإدراك البشري، أما الزمن في القدرة الإلهية فهو متواصل لارتباطه بعلم الله المحيط الذي يتخطى حدود الزمان والمكان، ومع كل هذا فإن الله سبحانه وتعالى لم يحدثنا عن المستقبل إلا في آيات قليلة، لكنها مع ذلك تكفي في الدلالة على توجيه نظر الإنسان إلى المستقبل. من هذه الآيات:

- ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ (فصلت/٥٣).

- ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٣)﴾ (النمل/٩٣).

- ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (٢٧)﴾ (الفتح/٢٧).

- ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ (١٢) قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ (١٣)﴾ (آل عمران/١٢-١٣).

- ﴿الٓمٓ (١) غُلِبَتِ ٱلرُّومُ (٢) فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (٥) وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦)﴾ (الروم/١ -٦).

والقرآن الكريم – وهو يلفت نظرنا إلى الزمن – يحدثنا عن نوعين من الزمن والأيام:

(١) الزمن الكوني: وهذا يكون ملايين الأضعاف ليومنا البشري، ولذا تختلف حساباتنا وتضطرب حين تسأل عن شيء من هذا الزمن، فنظن أنه كزماننا وهو في الحقيقة غير هذا، وفي ضوء هذا نفهم قوله تعالى ونظائر هذا كثير: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩)﴾ (البقرة/٢٥٩).

﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ﴾ (الروم/٥٥).

﴿وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ٤٧﴾ (الحج/٤٧).

والآية الأخيرة جاءت في سياق أن الإنسان يستعجل العذاب، ظناً منه أنه تأخر بحساباته هو، وينسى أو يجهل أن هناك اعتباراً آخر في الزمن الكوني. وهذا هو الذي يجعلنا نظن أن الله يمهل الظالمين، ويبطئ عليهم، ولكن الحقيقة أن إرادة الله وحكمته في هذا الأمر لا تخضع لزماننا وحساباته.

(٢) لكن ذلك لا يعني أن الله سبحانه لم يحدثنا عن زمننا الواقعي، لأنه ذكر ما يناسب تجربتنا البشرية حين قال ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ﴾ (البقرة/١٩٧) ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ﴾ (التوبة/٣٦).

﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ﴾ (سبأ/١٢).

وخلاصة الأمر: أن ما جاء في القرآن الكريم عن الماضي بقصصه وأخباره، وما جاء فيه عن المستقبل بتنبؤاته وأخباره، إلى جانب الحديث عن الحاضر الموجود، كل هذا ينمي الوعي بالتاريخ وإمكان توظيفه في الحياة وفق منهج الاعتبار المصرح به في القرآن الكريم.

المطلب الرابع

توعية الإنسان بالسنن الحاكمة للكون والتاريخ

من المقرر: أن الهدف من إيراد القصص والأخبار في القرآن الكريم هو الاعتبار عن طريق المطالعة الجادة والذكية للتاريخ، كما صرح به القرآن في أكثر من موضع نذكر منها:

- ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾ (الأعراف/١٧٦).
- ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ١٢٠﴾ (هود/١٢٠).

- ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾ (يوسف / ١١١).

قلت: إذا كانت هذه هي أسباب إيراد القصص فإن النتائج المترتبة على هذه الدراسة للوقائع التاريخية هي وجود السنن والقوانين التي تسير وتحكم حركة التاريخ، وهي منبثقة من صميم العلاقة بين الإنسان والكون، وبين الكون والإنسان من جهة، والله سبحانه باعتباره خالقاً وعالماً بما يحكم حركة الإنسان في ضوء طبيعته، وبما يحتويه الكون من قوانين على الإنسان أن يراعيها حتماً ولا يخرج عنها.

وهذه السنن لها سمات الوعي بها يحقق للإنسان مقصودة من حركته في الكون.

فهي ثابتة لا تتخلف؛ لأنها منبثقة من صميم العلاقات التي بين الله والعالم والإنسان؛ لذا فهي تكاد تكون محتومة، لارتباطها بمقدماتها ارتباطاً وثيقاً، ولذا فرعايتها تحقق للإنسان خلافته وعمارته للكون، وتخلف هذه الرعاية أو اضطرابها يؤدي إلى جزاء مناسب لهذا الاضطراب وتلك المخالفة.

وهي لا تحصر نفسها في التفاصيل والجزئيات، وإنما تقدم القواعد الكلية لحركة الإنسان الحركي يعرف حدود حريته، وكي يعرف أن الحركة البشرية تحكمها قوانين لابد من اختيار مراعاتها حتى تصبح الحرية منضبطة غير عابثة، أعني أن لها صلة بحرية الإنسان ومسؤوليته عن معرفة حدوده، وضبط حركته في أداء دوره، وإلا كان:

كناطح صخرةً يوما ليوهنها   فلم يَضِرْها وأوهى قرنَة الوَعِلُ

- ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢﴾ (الأحزاب/ ٦٢).

- ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ٤٣﴾ (فاطر/ ٤٣).

- ﴿سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ٧٧﴾ (الإسراء/٧٧).

ولأنها سنة الله وقانونه الذي لا يتخلف، ولأن الله أراد للإنسان دوراً هو عمارة الكون بكل معانيه، وبكل ما يعنيه من حركة وعمل وتخطيط وتفكير، كان التعرف إلى السنة قاضياً بمراجعة السلوك في ضوئها والإفادة من قانون هذه السنن في إحداث التغيير إلى الأفضل والأمثل.

وذلك يكون بموافقة السنن وعدم مخالفتها، وهذا لا يتحقق إلا بالوعي بالتاريخ وفهم معطياته، وهذا هو الذي هدف إليه القرآن الكريم من إيرادها رافداً للوعي الإنساني، انظر إلى قوله تعالى: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ. ١٤٠ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤١﴾ (آل عمران /١٣٧– ١٤١).

﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ١٠﴾ (محمد/١٠).

"وفي أكثر من موضع يؤكد القرآن الكريم على أن النظر والبحث والتجوال في تاريخ البشرية إنما هو جهد إيجابي، لن يكون مردوده إلا على الحاضر والمستقبل، ولن يفيد منه إلا الذين يشحذون كافة حواسهم وقدراتهم العقلية لكي يستخلصوا المغزى والمعنى؛ ليسيروا على هداهما"(١).

ولعل هذا هو الذي جعل الإمام محمد عبده ينادي بعلم يسمى علم السنن

---

(١) التفسير الإسلامي للتاريخ /١١٢.

يستخلص من القرآن الكريم كما استخلصت علوم أخرى "فيجب على الأمة في مجموعها أن يكون فيها قوم يبينون لها سنن الله في خلقه، كما فعلوا في غير هذا العلم من العلوم والفنون التي أرشد إليها القرآن بإجمال، وقد بينها العلماء بالتفصيل؛ عملاً بإرشاده كالتوحيد والأصول والفقه "(١).

وعليه فإن توعية الإنسان بالسنن الحاكمة لحركة التاريخ بكل عناصره، هو علم قرآني، من ينتبه إليه يدرك حقائق كثيرة مثل استمرار الحضارات أو انهيارها وأسباب هذا وذاك، ومثل حقيقة الصراع الأزلي الأبدي بين الخير والشر، أو بين الحق والباطل، أو غير ذلك من السنن الكونية والاجتماعية، الأمر الذي يجعلنا نشير إلى بعض هذه السنن مقرين أننا نشير فقط.

نشير ونختار عينات دون أن نحصي كل أنواع السنن، فتلك مهمة دونها الوقت وخطة هذه الورقة.

أنواع السنن:

هناك نوعان رئيسان هما: السنن الكونية والسنن الاجتماعية، وجدير بالذكر أن بينهما من التلاحم الشيء الكثير؛ لأن السنن الكونية يفيد منها الإنسان وهو يراعي السنن الاجتماعية، فالليل والنهار، وحركة الشمس والقمر من السنن الكونية، لكن الإنسان عليه أن يراعي قوانينها وهو يستفيد من المسخرات في حركته الاجتماعية، والأمر أوضح من أن تقف أمامه؛ لأن الإنسان بسنن حركته التاريخية يتحرك في الكون بسننه الكونية.

السنن الكونية:

وهي سنن مرتبطة بالكون، أعني أنها جزء من قوانين هذا الكون، وهي مودعة فيه، لا تفرق بين مؤمن وكافر، من يراعيها يصل إلى خيرها والعكس

---

(١) تفسير المنار /٤/١٣٩ / طبع بيروت ١٣٦٧هـ.

بالعكس، نذكر منها قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨﴾ (يس/٣٨).

- ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠﴾ (يس/٤٠).
- ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ (لقمان/٢٩).
- ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾ (يونس/٥).
- ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا ١٢﴾ (الإسراء/١٢).
- ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ﴾ (آل عمران/٢٧).
- ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧﴾ (يس/٣٧).
- ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥﴾ (الحج/٥).
- ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٣﴾ (النور/٤٣).
- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾ (الروم/٤٨).

هذه مجرد نماذج لآيات وسنن كونية مبثوثه في الكون، وقد أخبر القرآن الكريم بها، ولفت النظر إليها هو بناء وعي بالتاريخ؛ لأنها كانت – وهي كائنة – وستظل تعمل وفق ما أخبر الله إلى أن يرث الأرض ومن عليها.

ومحاولات الإنسان إحداث آثار صناعية كالمطر مثلاً هي دليل على وجود

هذه السنن وثباتها، لأنهم لا يغيرون السنن، ولكنهم يفيدون من فهمهم لها ويحاولون أن يحاكوها، فينجحون بقدر ما يفهمون.

السنن الاجتماعية:

وهي كثيرة متنوعة لا نستطيع حصرها هنا، لكننا فقط نشير إلى بعضها دلالة على أن القرآن الكريم يلفت نظر الإنسان إلى التاريخ ويربي وعيه به من خلال تعريفه بهذه السنن؛ لأنها تتصل بحركة الإنسان في الكون ونتائج هذه الحركة من لدن آدم إلى يومنا هذا، والإنسان مدعو أن يعيها؛ لينظر إلى حاضره مقوماً وإلى مستقبله متفائلاً. نذكر من هذه السنن:

١ - سنة التدافع:

﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٥١﴾ (البقرة / ٢٥١).

﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠﴾ (الحج/ ٤٠).

وقد سماه البعض صراعاً بين الإنسان والطبيعة، أو بين الإنسان والإنسان، كما سماه البعض استثارة لمكنون الطبيعة(١)، لكن الخلاف حول التسمية لم يمنع من الالتقاء حول حقائق تتصل بهذا التدافع، منها:

(١) أن هذا التدافع سبب الحركة في الحياة، وأن الحياة كانت تأسن وتتعفن لو لم يكن فيها هذا التدافع.

(٢) أن سبب هذا التدافع هو اختلاف الناس في اللغات والعادات والتكوين والأماكن، وأنه تدافع يؤدي في النهاية إلى التعارف والالتقاء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) انظر/ عبد الحليم عويس/ تفسير التاريخ علم إسلامي/ ٢٢٤، عماد الدين خليل/ التفسير الإسلامي للتاريخ/٢٤٣.

ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ (الحجرات/١٣).

(٣) أن هذا التدافع يفرز القادرين على حركة الحياة الذين يستحقون النصر من الذين تعجزهم أهواؤهم عن مواصلة الحركة في الحياة(١)، وعليه فلابد أن يفهم هذا التدافع في ضوء الابتلاء الإنساني كجزء من تركيبته في خلقه ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا (٢)﴾ (الإنسان/٢).

﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ (٣١)﴾ (محمد/٣١).

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ (٢) وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ (٣)﴾ (العنكبوت/٢، ٣).

هذا التدافع سنة من سنن الله في إعمار الأرض، حتى ولو لم يفهم الإنسان كل الحكم فيما يقع من تدافع قد يصل إلى القتل؛ ذلك لأن الحكمة من هذا قد تخفى علينا كما أشار القرآن الكريم ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ (٢١٦)﴾ (البقرة/٢١٦).

ووسط هذا التدافع الذي لابد منه، كان للجماعة المؤمنة دور يعيد الحق إلى نصابه، ويؤدي بالأمه إلى الوحدة التي هي سمة هذه الأمة ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ (٥٢)﴾ (المؤمنون/٥٢).

ودور الأمة يتضح في قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ

---

(١) سيد قطب / في ظلال القرآن ١/ ٢٧٠، طبعة دار الشروق.

إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ (٩)﴾ (الحجرات/٩).

هكذا تحكم حركة الإنسان بهذه السنة التي تحرك الحياة وتنشط الأحياء.

٢ – الصراع بين الحق والباطل:

منذ أن قضى الله سبحانه بنزول آدم وحواء وإبليس من الجنة إلى الأرض والصراع قائم بين الإنسان والشيطان، وسواء أكان الشيطان جنداً من جنود إبليس من بني الإنسان، أم كان هو الشيطان نفسه، فإن الأمر لا يختلف؛ لأن الله سبحانه قضى بهذا حين قال: ﴿وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ (٣٦)﴾ (البقرة/٣٦).

ولنشر إلى بعض الحقائق المتصلة بهذه السنة:

أ – الصراع بين الإنسان والشيطان معلن وصريح؛ لأن الله سبحانه قال للإنسان: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ (٦)﴾ (فاطر/٦).

ولأن الشيطان قال فيما يحكيه القرآن الكريم: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا (١١٩) يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا (١٢٠)﴾ (النساء/١١٩، ١٢٠).

ولم يستثن من هؤلاء إلا عباد الله المخلصين ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾ (الحجر/٤٢).

ب – الصراع يحكمه قانون حدده الله سبحانه في قوله: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ (١٢٣) وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ

حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ (١٢٧)﴾ (طه/ ١٢٣ – ١٢٧).

ج – أن هذا الصراع قد وقع بين الإنسان والإنسان، أعنى بين من يتمسك بحق ومن يدعو إلى باطل الشيطان ويتحدث بلغته، ولعلنا لا نستطيع حصر هذه الأمثلة لكن حسبنا أن نشير إلى:

(١) قصة ولدى آدم وما كان فيها من صراع بين الحق والباطل ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢٨) إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ (٣١)﴾ (المائدة /٢٧ – ٣١).

(٢) كذلك نشير إلى ما دار بين الأنبياء والمستكبرين من أقوامهم، مع أن الأنبياء كانوا يردون على سفه أقوامهم بحلم الأنبياء وحكمة المرسلين، والأنبياء كانوا يحملون الحق والحرص على أقوامهم إذ تتردد عباراتهم ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩)﴾ (الأعراف/٥٩)، ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣)﴾ (الأعراف/٧٣).

ونحو هذا، فقصص الأنبياء مع أقوامهم تظهر أن الصراع بين الحق والباطل سنة أزلية أبدية، وأنه جزء من حركة الناس في الحياة ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣)﴾ (المؤمنون/٥٣).

وقد كانت النتيجة دائماً لصالح الحق، حيث عوقب أنصار الباطل بعقوبات متنوعة تتناسب مع جرم كل طائفة(١).

فإذا علم الإنسان هذه السنة – كما علم غيرها من سنن الاجتماع البشري – كان عليه أن ينظر في أمره، وأن يختار ما يريد أن يوصله إلى هدفه من اتباع لقانون النجاة في هذا الصراع.

(٣) الثواب والعقاب:

خلق الله الكون والإنسان بالحق، وقضى بسنة التدافع؛ ليبتلي الإنسان، وكان قانون الصراع بين الحق والباطل، الأمر الذي اقتضى أن لا يتساوى العامل والخامل. وألا يتساوى من حقق العباده والخلافة والعمارة فنعم وشكر، ومن أعرض عن نعم الله برفض الشكر، أو ادعاء أنها من عنده، أو أنه حقيق بها؛ لذا كان من السنن الحاكمة لحركة الإنسان في الحياة: سنة الثواب والعقاب؛ ليتعلم الإنسان منها كثيراً من الضوابط التي تجعل للحياة معنى.

ونشير هنا إلى ما يوضح هذه السنة الاجتماعية والكونية في آن معا.

فجزاء المؤمنين في كل دين: هو الرزق في الدنيا، والجزاء الحق في الآخرة:

- ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٦٥ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ٦٦﴾ (المائدة /٦٥-٦٦).

- ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦﴾ (الأعراف/٩٦).

---

(١) انظر / سورة الأعراف /٦٠-٩٣ ففيها قصص لأنبياء عديدين ومواقف أهل الباطل من أقوامهم منهم.

- ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٩٧)﴾ (النحل/ ٩٧).

- ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ (١٧)﴾ (سبأ/ ١٥-١٧).

- ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ (٥٤)﴾ (الأنفال/ ٥٤).

- ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا (٥٩)﴾ (الكهف/ ٥٩).

إن القرآن الكريم يلفت نظر الإنسان إلى هذه السنة؛ ليحرر إرادته مما يعوقه عن السعي وفق السنن، ويتعلم كيف أن الله سبحانه يعدل بفضله فلا يضيع عمل عامل.

وهذا الفهم يدفع الإنسان إلى حركة يدقق في رشدها، ولا يتبع سبل الشيطان فيها؛ كي يلقي جزاءه في الدنيا والآخرة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ (٧)﴾ (الزلزلة/ ٧).

(٤) إنهيار الحضارات

إن ما أشرنا إليه في مواطن سابقة من هذه الورقة فيما يتصل بالإنسان ودوره والسنن الحاكمة لحركته - كونية كانت أو اجتماعية - وأثر كل هذا في تحقيق الاستخلاف الذي يعني حركة تمثل العبادة التي هي التزام الأوامر

والنواهي، وتمثل العمارة بما تعنيه من عمل يخدم به نفسه وغيره، وتمثل الخلافة بما تعنية من التخلق بأخلاق الله حسب الطاقة البشرية.

كل هذا حديثاً عن الحضارة وقيامها باعتبار أن الحضارة هي ناتج الجهد البشري في حركته وتعامله مع الكون وفق النواميس التي أرادها الله لتثمر هذه العلاقة بين الكون والإنسان.

وبمقدار ما ينجح الإنسان في تحقيق الرشد في هذه العلاقة بمقدار ما تبقى حضارته مزدهرة، وحين يحيد هذا الرشد انحيازاً إلى معسكر الشيطان بما يعنيه هذا الانحياز من مخالفة للأوامر الأخلاقية والسنن الاجتماعية، حين يحيد عن هذا الرشد تنهار حضارته وتسقط، سواء. كان هذا الإفساد من الحكام وسكت عنه المحكومون، أم من الجميع.

وسنة الله سبحانه في إهلاك الظالمين ماضية، حتى ولو خدعوا بما ظنوه قوة وبطشاً؛ لأن قوة هؤلاء وبطشهم لا يصمد أمام سنة الله في إهلاك الظالمين ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ (٥) وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ (٦) وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (٧) فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ (٨)﴾ (الزخرف/ ٥-٨).

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ (٣٦) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧)﴾ (ق/ ٣٦-٣٧).

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥)﴾ (فصلت/ ١٥).

هكذا لم تستطع القوة الإنسانية بكل طغيانه أن تقف أمام سنن الله في التاريخ التي هي جزء من قدر الله وتنظيمه الكوني للمصير(١).

---

(١) التفسير الإسلامي للتاريخ/ ١١٦.

وهذا يعني أن الأساس الأخلاقي الذي ينبثق من عقيدة حقه وهو يمثل الخلافة أمر له أهمية في تطور الحضارات، ولانهياره أثره في سقوط الحضارات(١).

من أسباب انهيار الحضارات:

لا يهتم القرآن الكريم بطرح التفاصيل والجزئيات؛ ولكنه يشير إلى السنن الحاكمة لقضية سقوط الحضارات في كل المظاهر السياسية والإدارية وغيرها، ونشير هنا إلى بعض ما أشار إليه القرآن الكريم في هذا الصدد.

أ - لقد أشار إلى أن فساد القيادة وممارستها الظلم والطغيان وبذلها كل جهد لمنع الراشدين من ممارسة أعمالهم هو سبب أساسي لسقوط حضارتهم مع ما في هذا من مسؤولية على المحكومين كما ستشير إلى ذلك بعد قليل.

- ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا (١٦) وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا (١٧)﴾ (الإسراء/١٦-١٧).
- ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا لِيَمۡكُرُواْ فِيهَاۖ وَمَا يَمۡكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ (١٢٣)﴾ (الأنعام/١٢٣).
- ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ (١٢٩)﴾ (الأنعام/١٢٩).

ب - كما أشار إلى طاعة المحكومين لهؤلاء القادة المفسدين:

- ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ (٦٧) رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا (٦٨)﴾ (الأحزاب/٦٧-٦٨).

---

(١) عويس / تفسير التاريخ علم إسلامي / ٢٥٤.

- ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ (١٦٦) وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ (١٦٧)﴾ (البقرة /١٦٦-١٦٧).

ج - ويتصل بفساد القاعدة المحكومة حيث رضيت بما ترى من ظلم يشير القرآن إلى كذب من كان يعلن رفضه للظلم ويدينه لكنه يفعله صار من أفسد المفسدين ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ (٢٠٥)﴾ (البقرة/ ٢٠٤-٢٠٥).

د - يشير القرآن الكريم إلى أن الترف يؤدي إلى انكار النبوات:

- ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ (٣٤) وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ (٣٥)﴾ (سبأ/ ٣٤، ٣٥).

- ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ (٣٣) وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ (٣٤)﴾ (المؤمنون/ ٣٣، ٣٤).

بإيجاز يمكننا القول: إن كل الأسباب تتجمع في سنة الإفساد بكل أنواعه، في أشكاله المختلفة، فالظلم من الحكام إفساد، وسكوت الجماهير إفساد، وطغيان الترف الذي يؤدي إلى إنكار النبوات إفساد، وترك سنة السعي في الأرض وعدم العمل بها إفساد، والعبث بما خلقه الله للانتفاع إفساد. ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ (٦٠)﴾ (البقرة/ ٦٠) وكل هذا يؤذن بخراب العمران، وسقوط الحضارات.

لكن سنة انهيار الحضارات لهذه الأسباب وغيرها لا تقعد الإنسان الذي تردى عن محاولة النهوض؛ لأن السقوط محكوم بسنة هي ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ (آل عمران/١٤٠).

ومعناه أن المداولة تحكم بقوانين بقاء وسقوط الحضارات، كذلك الخروج من هذا المأزق والتفاؤل محكوم بسنة أخرى هي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد/١١).

وهذا وفق ما يقتضيه التغير من مراجعة للسنن التي تحكم وتحدد رسالة الإنسان في هذه الحياة؛ ليعلم أين هو منها، وكيف يعيد لموقفه التوازن الذي اختل بسبب الفساد في الحياة حوله.

وينبغي أن نتذكر – هنا – أن محاولة التغير هذه لابد أن تعود بالأمر إلى مصدره وهو الله سبحانه، التزاماً بأمره ونهيه؛ حتى يكونوا على غرار القيادة الرشيدة ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾ (الأعراف/١٨١).

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ (القصص/٨٣).

كما ينبغي أن نتذكر – أيضا – أن الحضارات التي بادت مثل حضارة عاد وثمود. وغيرها كانت النماذج التي طبقت عليها هذه السنن في موكب التاريخ(١).

وعليه فتعريف الإنسان بهذه السنة هو إيقاظ لوعيه التاريخي؛ كي يستطيع تقييم موقفه الحضاري في ظل هذه السنة نشوءاً أو سقوطاً.

---

(١) انظر/ محمد بيومي مهران/ دراسات تاريخية في القرآن الكريم / ٢٢٩، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

خاتمـــــة

تجئ هذه الخاتمة لتشير إلى نقاط ثلاثة وثيقة الصلة بموضوع البحث:

أولها: تذكير بأهمية الوعي بالتاريخ ، وفيها نقول: لا يختلف عاقلان على أن الوعي بالتاريخ، وتفهم السنن الكونية والاجتماعية مطلب هام؛ ليمارس الإنسان دوره الحضاري، ويؤدي رسالته كما جاءت في الإسلام خاتم الرسالات (الخلافة – العبادة – العمارة)، وهذا ما أشار إليه وحث عليه القرآن الكريم.

وأمتنا وهي تعيش مأزقاً حضارياً – حيث لم تعد إسهاماتها بقدر رسالتها – يلزمها تأصيل الوعي بالتاريخ، ويلزمها معرفة السنن التي تحكم الازدهار والإنكسار؛ ليتسنى لها العودة من جديد إلى ريادة حضارية سجلها تاريخ الفكر الإنساني، وما كانت إلا تطبيقا لفهم المسلمين للسنن الإلهية في قيام الحضارات، فاهتمامهم بالعلم وهو فريضة، وبالعمل وهو عبادة، وبالوقت وهو حياة، تجربة ينبغي أن نمعن النظر فيها، حتى تكون محاولتنا للخروج من مأزقنا منطلقة من ثوابتنا، ومن تجارب بشرية وثيقة الصلة بنا، لا نقلاً لتجارب تختلف معنا منطلقاً وغاية.

النقطة الثانية: وفيها أشير إلى أن السنة حفلت بحديث عن الزمن والأيام والشهور في سياقات تشريعية، مثل الحداد على الزوج ونحوه، وسياقات ترغيبية في العبادة، وكذا الإشارة إلى الزمن ومستقبل السلوك فيه قرباً من الدين أو بعداً.

ولا يبعد هذا عما نحن بصدده، فإن النتيجة المرجوة من بحثنا عن القرآن وتنمية الوعي بالتاريخ هي أن نشعر بقيمة الزمن، وأن ينعكس هذا الشعور على سلوكنا؛ حتى لا يهدر الزمن ونتخلف عن ركب الحضارة بإهداره، باعتباره هو الحياة، وهو إطار العمل والجهد الذي ينبغي أن يبذل لتغيير الواقع إلى الأمثل والأفضل.

وهذه نماذج من أحاديث ذكر فيها الزمن في بعض السياقات المشار إليها علها تحفز على بحث هذه المسألة في السنة بعامة:

١ – عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً"(١).

٢ – عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ"(٢).

٣ – عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الزَّمَانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا: أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ"(٣).

٤ – قَالَتْ زَيْنَبُ فَدَخَلْتُ عَلَى زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ حِينَ تُوُفِّيَ أَخُوهَا فَدَعَتْ بِطِيبٍ فَمَسَّتْ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَتْ: أَمَا وَاللَّهِ مَا لِي بِالطِّيبِ مِنْ حَاجَةٍ، غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: "لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاثِ لَيَالٍ، إلا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا"(٤).

٥ – عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "صِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صِيَامُ الدَّهْرِ، وَأَيَّامُ الْبِيضِ: صَبِيحَةَ ثَلاثَ عَشْرَةَ، وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ، وَخَمْسَ عَشْرَةَ"(٥).

---

(١) البخاري، كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر، رقم الحديث ٥٩٤٠.

(٢) البخاري، كتاب الرقاق، باب لا عيش إلا عيش الآخرة، رقم الحديث ٥٩٣٣.

(٣) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في سبع أرضين، الحديث رقم ٢٩٥٨.

(٤) البخاري، كتاب الطلاق، باب تحد المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرا، رقم الحديث ٤٩١٩.

(٥) النسائي، كتاب الصيام، باب كيف يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، رقم الحديث ٢٣٧٧.

٦ – عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ الْعَشْرِ"، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَلا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ"(١).

٧ – عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "تُفَتَّحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ فِيهِمَا لِمَنْ لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلا الْمُهْتَجِرَيْنِ، يُقَالُ: رُدُّوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا"(٢).

٨ – عن ثَوْبَانُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ الْحُمَّى فَإِنَّ الْحُمَّى قِطْعَةٌ مِنْ النَّارِ، فَلْيُطْفِئْهَا عَنْهُ بِالْمَاءِ، فَلْيَسْتَنْقِعْ نَهْرًا جَارِيًا لِيَسْتَقْبِلَ جِرْيَتَهُ فَيَقُولُ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اشْفِ عَبْدَكَ، وَصَدِّقْ رَسُولَكَ، بَعْدَ صَلاةِ الصُّبْحِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، فَلْيَغْتَمِسْ فِيهِ ثَلاثَ غَمَسَاتٍ، ثَلاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنْ لَمْ يَبْرَأْ فِي ثَلاثٍ فَخَمْسٍ، وَإِنْ لَمْ يَبْرَأْ فِي خَمْسٍ فَسَبْعٌ، فَإِنْ لَمْ يَبْرَأْ فِي سَبْعٍ فَتِسْعٍ، فَإِنَّهَا لا تَكَادُ تُجَاوِزُ تِسْعًا بِإِذْنِ اللَّهِ"(٣).

٩ – عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُسَافِرِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ، وَيَوْمًا وَلَيْلَةً لِلْمُقِيمِ يَعْنِي فِي الْمَسْحِ"(٤)

١٠– عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ مِنْ

---

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح غريب، كتاب الصوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في أيام العشر، الحديث رقم ٦٨٨١.

(٢) قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح ويروى في بعض الحديث ذروا هذين حتى يصطلحا. قال: ومعنى قوله: المهتجرين، يعني المتصارمين، وهذا مثل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لايحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام". انظر: الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المتهاجرين، الحديث رقم ١٩٤٦.

(٣) رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب، كتاب الطب، باب التداوي بالعسل، الحديث رقم ٢٠١٠.

(٤) النسائي، كتاب الطهارة، باب التوقيت في المسح على الخفين للمقيم، الحديث رقم ١٢٨.

أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ: يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنْ الصَّلاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ"، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ؟ يَقُولُونَ: بَلِيتَ، فَقَالَ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ"(١).

١١- عَنْ سَلْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَنْ رَابَطَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَوْمًا وَلَيْلَةً كَانَتْ لَهُ كَصِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، فَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ"(٢).

١٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ قَامَ شَهْرَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"(٣).

١٣- عَنْ هُنَيْدَةَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ امْرَأَتِهِ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ تِسْعَ ذِي الْحِجَّةِ، وَيَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَثَلاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، أَوَّلَ اثْنَيْنِ مِنْ الشَّهْرِ وَالْخَمِيسَ"(٤).

١٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ، وَهُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ، حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ"(٥).

١٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ أَمِنْ حَلالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ"(٦).

النقطة الثالثة : وفيها أشير إلى أن اهتمام علماء المسلمين بالتاريخ في

---

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، الحديث رقم ٨٨٣.

(٢) النسائي، كتاب الجهاد، فضل الرباط، الحديث رقم ٣١١٧.

(٣) النسائي، كتاب الإيمان وشرائعه، باب قيام رمضان، الحديث رقم ٤٩٣٨.

(٤) أبو داود، كتاب الصوم ن باب في صوم العشر، رقم الحديث ٢٠١٨.

(٥) البخاري، كتاب الجمعة، باب ما قيل في الزلازل والآيات، رقم الحديث ٩٧٨.

(٦) البخاري، كتاب البيوع، باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا﴾ الحديث رقم ١٩٤١.

حولياتهم، وفي كتب الطبقات وسير الأعلام، وسجل وفيات الأعيان، لم يكن اهتماماً بالأشخاص لذواتهم، ولا بالأحداث لعينها، وإنما كان تسطيراً لتجارب لها دلالتها في عصرها، ويمكن أن يكون لها عطاؤها في عصرنا استفادة من منهج التفكير، وقراءة للوعي بالأحداث، دون أن نغرق في تفاصيل الجدل التاريخي الذي كان لسبب أو لآخر.

وتطبيقا لهذا الوعي وجدنا في تراثنا الإسلامي تياراً واضح المعالم يهتم بالتاريخ والتجربة من خلال تاريخ العلوم، وسير العلماء، وتواريخ وفياتهم، وما يتضمنه كل هذا من وضع تجربة العقل المسلم أمام الأجيال.

ولكي يتضح هذا نشير إلى بعض هذه المؤلفات ببيان موجز، ثم نلحقها بأسماء كثير من المؤلفات التي تنتهج النهج المشار إليه.

أ - يشمل البيان الكتب التالية:

١ - الفهرست:

مؤلفه: محمد بن إسحاق بن النديم، الوراق، البغدادي، أبو الفرج، عالم أديب له مشاركات في علوم عديدة، ويُعَدُّ الفهرست لابن النديم أول عمل ببليوجرافي شامل في التاريخ الوسيط، وكذلك في التراث العربي الإسلامي وفي المصنفات العربية، وهو أول عمل من نوعه ألف بالعربية، يقول ابن النديم في مقدمة الفهرست: "... فهذا فهرست جميع الأمم من العرب والعجم، الموجود منها بلغة العرب وقلمها في أصناف العلوم، وأخبار مصنفيها، وطبقات مؤلفيها وأنسابهم، وتاريخ مواليدهم، ووفاتهم، وبلدانهم، ومناقبهم، ومثالبهم، منذ ابتداء كل علم اخترع حتى وقتنا هذا - وهو سنة ٣٧٦هـ -.

كما رتب ابن النديم كتابه الفهرست على الموضوعات، وقسمه إلى عشر مقالات:

الأولى: في ثلاثة فنون: لغات الأمم من العرب والعجم، وأسماء كتب الشرائع المنزلة على مذاهب المسلمين، وأسماء الكتب المصنفة في علوم القرآن

والقراء. والمقالة الثانية: في الأخبار الخاصة بالنحويين البصريين والكوفيين وكذلك الذين خلطوا بين المذهبين. والمقالة الثالثة: في الآداب والسير والأنساب. والمقالة الرابعة: وتشتمل على فنيين في الشعر والشعراء. أما المقالة الخامسة: فتشتمل على خمسة فنون في الكلام والمتكلمين. والمقالة السادسة: في فنون الفقه والفقهاء والمحدثين. والمقالة السابعة: في الفلسفة والعلوم القديمة. والمقالة الثامنة: وهي على ثلاثة فنون في الفلسفة. أما المقالة الثامنة: فهي الأسمار والخرافات والعزائم. والمقالة التاسعة: في المذاهب والاعتقادات. والمقالة العاشرة والأخيرة تحتوي على أخبار الكيمائيين والصنعويين من الفلاسفة القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم.

٢ – إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد لابن الأكفاني:

وهو محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري السنجاري، المعروف بابن الأكفاني، طبيب باحث وعالم بالحكمة والرياضيات، ولد ونشأ في سنجار بالعراق، ثم سكن القاهرة وبها مات سنة ٧٤٩هـ.

ويذكر في كتابه – بعد مقدمة في شرف العلم وشروط التعليم والتعلم – أنواع العلوم وأصولها وفروعها بطريقة لم تكن معهودة في المؤلفات العربية السابقة عليه، ويُعَدُّ الكتاب مصدراً في معرفة ما ألف في المنطق والإلهيات والطبيعيات والرياضيات والسياسة والأخلاق وتدبير المنزل إلى منتصف القرن الثامن الهجري منتصف القرن الرابع عشر الميلادي.

٣ – مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم: لطاش كبرى زادة.

ومؤلفه أحمد بن مصطفى بن خليل أبو الخير، عصام الدين، المعروف بطاش كبرى زادة، نسبة إلى المكان (طاش كبرى) الذي ولد فيه في تركيا، ولد المؤلف في مدينة بروسة بتركيا سنة ٩٠١هـ/١٤٩٥م، لأسرة عرف عنها إسهامها في بعض العلوم الدينية، وتنقل بين مدن عدة، منها: حلب وأدرنة وأنقرة، وتقلب في مناصب علمية ودينية، فأصبح مدرسا للفقه والحديث والعلوم

العربية في استانبول، وولي قضاء مدينة بروسة ٩٢٥هـ/١٥١٩م، ثم قضاء استانبول ٩٥٨هـ/١٥٥١م. وكف بصره فلزم منزله وعكف على التأليف والإملاء.

ويُعَدُّ هذا الكتاب مرجعاً ببيليوجرافياً من الطراز الأول، وهو موسوعة في مجال رصد الإنتاج المعرفي للمسلمين إلى العصر الذي كان يعيش فيه، وقدم طاش كبرى زادة لكتابه مفتاح السعادة بمقدمات أربع:

١ - في بيان فضيلة العلم والتعليم والتعلم.

٢ - في شرائط المعلم ووظيفته.

٣ - في وظائف المعلم.

٤ - في بيان النسبة بين طريق النظر وطريق التصفية.

كما قسم إلى أربع مراتب: الأعيان، والأذهان، والعبارة، والكتابة.

ب - كتب أخرى تنتهج المنهج ذاته:

- الطبقات الكبرى: لابن سعد (ت: ٢٣٠هـ).
- تاريخ علماء الأندلس: لابن الفرضي (ت:٤٠٣هـ).
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لابن عبدالبر (ت: ٤٦٣هـ).
- تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ).
- تاريخ مدينة دمشق: لابن عساكر (ت: ٥٧١هـ).
- أسد الغابة في معرفة أسماء الصحابة: لابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ).
- الكامل: لابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ).
- سير أعلام النبلاء: للذهبي (ت: ٧٤٨هـ).
- فوات الوفيات: للكبي (وهو ذيل على وفيات الأعيان لابن خلكان) (ت:٧٦٤هـ).
- الوافي بالوفيات: للصفدي (ت: ٧٦٤هـ).

- البداية والنهاية: لابن كثير (ت: ٧٧٤هـ).
- مقدمة ابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ).
- الإصابة في تمييز أسماء الصحابة: لابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ).
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لابن خلكان (ت: ٦٨١هـ).
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: لحاجي خليفة (ت:١٠٦٧هـ).
- تاريخ الأدب العربي: للمستشرق الألماني كارل بروكلمان (ت:١٣٧٥هـ).
- الأعلام: لخير الدين الزركلي (ت: ١٣٩٦هـ).

وفي الختام أشير إلى أن الأمر لم يقتصر على علمائنا السابقين، بل وجدنا في العصر الحديث من يهتم بإبراز هذا الأمر، وهو أهمية الزمن والوقت، لكن المجال لا يتسع للحديث عنها، وحسبنا أن نذكر بها.(١)

هنا تكون عودتنا لمصادرنا، وتطبيقات وفهوم علمائنا لما فيها استفادة من الماضي لإصلاح الحاضر واستشراف المستقبل.

والله المستعان،،،

---

(١) ما كتبه العلماء عن قيمة الزمن:
قيمة الزمن عند العلماء: د. عبدالفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
الوقت في حياة المسلم: د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
سوانح وتأملات في قيمة الزمن: خلدون الأحدب، مكتبة دار الوفاء للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٤٠٧هـ.
الوقت عمار أو دمار: جاسم بن محمد بن بدر المطوع، دار الدعوة للنشر والتوزيع، الكويت، ط٤، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

أولاً: فهرس الآيات

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ١١﴾	١١	فصلت	٢٤
﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ٢﴾	٢	العنكبوت	٤٠
﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾	١٦٦	البقرة	٤٧
﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ٢٠﴾	٢٠	الأنفال	١٧
﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾	٤٦	الحج	٢٣
﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ﴾	٨٢	غافر	٢١
﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ﴾	١٠	محمد	٣٥
﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾	٥	الزخرف	٤٥
﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾	٧٨	الإسراء	٣٠
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾	٤٣	النور	٣٨
﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ٩﴾	٨-٩	البلد	٧
﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾	٦	الأنعام	٣٠
﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ﴾	٣٦	الإسراء	١٤
﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾	٦	فاطر	٤١

الصفحة	السورة	رقمها	الآيـــة
٤	الرعد	١١	﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾
٤٨	الرعد	١١	﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾
١٧	الأنفال	٢٢	﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ﴾
٤١	الحجر	٤٢	﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾
٣٣	التوبة	٣٦	﴿إِنَّ عِـدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا﴾
٢٣	البقرة	١٦٤	﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ﴾
١٧	السجدة	٢٦	﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍۚ أَفَلَا يَسۡمَعُونَ ۝٢٦﴾
١٧	الروم	٢٣	﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ۝٢٣﴾
١٩	القصص	٧٦	﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ﴾
٣٩	الإنسان	٢	﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ﴾
٢٨	ص	١٨	﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ۝١٨﴾
٢٥	الأحزاب	٧٢	﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ﴾
١٧	الأنعام	٣٦	﴿إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾
٤٢	الأعراف	٥٩	﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥٩﴾
٥	البقرة	٣٠	﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾
٢٣	السجدة	٢٧	﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ﴾
٢١	الأعراف	١٨٥	﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾

الآيـــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ﴾	٢٦	السجدة	٣١
﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا﴾	٨٣	القصص	٤٨
﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ﴾	٢٧	آل عمران	٣٧
﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾	١٤	يونس	٢٦
﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ﴾	١٩٧	البقرة	٣٣
﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ﴾	٧	السجدة	٦
﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ﴾	١٦٥	النساء	٨
﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢﴾	٦٢	الأحزاب	٣٥
﴿سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ٧٧﴾	٧٧	الإسراء	٣٥
﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾	٥٣	فصلت	٣١
﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ﴾	٨٨	النمل	٦
﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ﴾	٢٨	الروم	٢٤
﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ﴾	١٦	التغابن	١٧
﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٢٩﴾	٢٩	الحجر	٧
﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٢﴾	٢	الحشر	٤
﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾	١٧٦	الأعراف	٣٣

الآيـــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾	١٥	فصلت	٤٥
﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ﴾	٥٠	الروم	٢١
﴿فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ٦﴾	٦	الأنعام	٣٠
﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ١٧﴾	١٧	الروم	٣٠
﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ٣٦﴾	٣٦	ص	٢٨
﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤﴾	٢٤	عبس	٢١
﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤﴾	٢٤	عبس	٢٣
﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ٥﴾	٥	الطارق	٢١
﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ٥﴾	٥	الطارق	٢٣
﴿فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ﴾	١٠٤	الأنعام	٢٢
﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧﴾	٧	الزلزلة	٤٤
﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ﴾	٤٣	فاطر	٣٥
﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم﴾	٣٨	الأعراف	١٠
﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ﴾	٣٣	المؤمنون	٤٧
﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ﴾	١٢٣	طه	٤١
﴿قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ﴾	٢٥٩	البقرة	٣٢
﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	١٣٧	آل عمران	٣٥
﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ﴾	٤٦	الأنعام	١٨
﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ﴾	٢٠	العنكبوت	٢٢

الآيــــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾	١٢	آل عمران	٣٢
﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (٥٠)﴾	٥٠	الأنعام	٢٢
﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾	٢٣	الملك	٧
﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾	٢٣	الملك	١٨
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾	٢١٦	البقرة	٤٠
﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾	٥٤	الأنفال	٤٤
﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢٤٢)﴾	٢٤٢	البقرة	٢٢
﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣)﴾	٥٣	المؤمنون	٤٢
﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ﴾	٤٠	يس	٣٧
﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٠)﴾	١٠	الأنبياء	٢٣
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤)﴾	٤	التين	٧
﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾	٢٧	الفتح	٣١
﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾	١١١	يوسف	٤
﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾	١١١	يوسف	٣٤
﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ﴾	١٥	سبأ	٤٤
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾	٤	السجدة	٢٤

الآيــــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾	٤٨	الروم	٣٨
﴿لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ﴾	١٧٩	الأعراف	١٠
﴿الٓمٓ (١) غُلِبَتِ ٱلرُّومُ (٢) فِىٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾	١-٣	الروم	٣٢
﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾	٧٨	الحج	٥
﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ﴾	٩٧	النحل	٤٣
﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾	٥	يونس	٣٧
﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ﴾	٣٩	فاطر	٢٦
﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ (٣٧)﴾	٣٧	يس	٣٧
﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ (٦٩) إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ﴾	٦٩-٧٠	الشعراء	١٨
﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَىۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ﴾	٢٧	المائدة	١٨
﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَىۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا﴾	٢٧	المائدة	٤٢
﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٞ فِى ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾	٣٠	البقرة	٢٥
﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا﴾	١٦	الإسراء	٤٦
﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾	٢١	الأحقاف	١٩
﴿وَٱذۡكُرۡ فِى ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا (٤١)﴾	٤١	مريم	١٩

الآيـــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾	٥٤	مريم	١٩
﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ﴾	٣٢	الكهف	١٩
﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨﴾	٣٨	يس	٣٧
﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ﴾	٩	الحجرات	٤٠
﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ٥٢﴾	٥٢	المؤمنون	٤٠
﴿وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ٤٧﴾	٤٧	الحج	٢٤
﴿وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ٤٧﴾	٤٧	الحج	٣٢
﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥﴾	٥	الحج	٣٧
وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ	١٤٠	آل عمران	٤
﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾	١٤٠	آل عمران	٤٨
﴿وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ٥٩﴾	٥٩	الكهف	٤٤
﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ﴾	١٢	الإسراء	٣٧
﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾	٢٩	لقمان	٢٧
﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾	٢٩	لقمان	٣٧

الآيـــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ﴾	٣٣	إبراهيم	٢٧
﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ﴾	٣٢	إبراهيم	٢٧
﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ﴾	١٢	النحل	٢٣
﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾	١٣	الجاثية	٢٣
﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾	١٣	الجاثية	٢٧
﴿وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ﴾	٧٩	الأنبياء	٢٨
﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ﴾	٥٥	النور	٢٦
﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾	٣١	البقرة	١٣
﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾	٦٧	الأحزاب	٤٦
﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ﴾	٩٣	النمل	٣١
﴿وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ﴾	٣٦	البقرة	٤١
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا﴾	١٢٣	الأنعام	٤٦
﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ (١٢٩)﴾	١٢٩	الأنعام	٤٦
﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾	١٢٠	هود	٣٤

الآيـــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا ٧٤﴾	٧٤	مريم	٣٠
وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا	٣٦	ق	٤٥
﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ﴾	١٧	الإسراء	٣٠
﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٦٠﴾	٦٠	البقرة	٤٧
﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ﴾	٣٦	الإسراء	٢
﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ﴾	٣٦	الإسراء	١٦
﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٢١﴾	٢١	الأنفال	١٧
﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٣﴾	٧٣	الأعراف	٤٢
﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ﴾	١١٩	النساء	٤١
﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ﴾	١٢	سبأ	٣٣
﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ﴾	٤٣	القصص	٣١
﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٣٥﴾	٣٥	العنكبوت	٢٣
﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾	٣٢	المائدة	٨
﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾	٧٠	الإسراء	٧
﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ﴾	٣١	محمد	٣٩
﴿وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾	١٧٩	الأعراف	١٧
﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ﴾	٩٦	الأعراف	٤٣

الآيـــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾	٦٥	المائدة	٤٣
﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾	٢٥١	البقرة	٣٩
﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ﴾	٤٠	الحج	٣٩
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِى قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ﴾	٣٤	سبأ	٤٧
﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ١٨١﴾	١٨١	الأعراف	٤٨
﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾	٢٤	الروم	٢٤
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِى ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾	٢٠٤	البقرة	٤٧
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ﴾	١٦٥	الأنعام	٢٦
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا﴾	١٤	النحل	٢٧
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ﴾	٣	الرعد	٢٣
﴿وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ﴾	٤٦	النساء	١٧
﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ﴾	٥٥	الروم	٣٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾	٢٤	الأنفال	٢٩

الآيــــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦﴾	٦	الانفطار	٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦﴾	٦	الانفطار	٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾	١٨٣	البقرة	٣٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾	١٣٥	النساء	٢٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَ﴾	٥١	المائدة	٢٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾	١	النساء	٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾	١٣	الحجرات	٣٩
﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾	٢٧	الأعراف	٥
﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ﴾	١١	النحل	٢٣

ثانيا: فهرس الأحاديث

طرف الحديث	الصفحة
إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ الْحُمَّى	٥١
أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ	٥٠
إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ	٥٢
تُفَتَّحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ	٥١
جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُسَافِرِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ	٥٢
رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه	١٥
الزَّمَانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ	٥٠
صِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صِيَامُ الدَّهْرِ	٥١
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ تِسْعَ ذِي الْحِجَّةِ	٥٢ – ٥٣
لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ	٥٣
لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُحِدَّ	٥٠
لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه	هامش ٥١
لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ	٥٣
ليبلغ الشاهد الغائب	١٥
مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ	٥١
مَنْ رَابَطَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَوْمًا وَلَيْلَةً	٥٢
مَنْ قَامَ شَهْرَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا	٥٢
نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ	٥٠

فهرس المراجـــــع

- أبو الحسن العامري / الإعلام بمناقب الإسلام – تحقيق: أحمد غراب، دار الكاتب العربي ١٩٦٧م.
- أبو اليزيد العجمي / نظرات في المعرفة الإنسانية بين الفكر الإسلامي والفلسفة الغربية، الطبعة الأولى / ٩٣، بدون ناشر.
- أبو اليزيد العجمي / الإنسان بين المسؤلية والتكريم / طبعة ثانية / المؤسسة العربية الحديثة ١٩٨٨م، مصر.
- أبو داود، سنن أبي داود.
- أحمد صبحي / في فلسفة التاريخ.
- ابن تيمية / درء تعارض العقل والنقل / تحقيق: محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام.
- ابن حجر / فتح الباري شرح صحيح البخاري.
- الباقلاني / التمهيد.
- البخاري / صحيح البخاري.
- الترمذي / سنن الترمذي.
- جاسم بن محمد بن بدر المطوع / الوقت عمار أو دمار، دار الدعوة للنشر والتوزيع، الكويت، ط٤، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- جون كلفر مونسيما / الله يتجلى في عصر العلم / دار القلم / بيروت.
- الجويني / البرهان في أصول الفقه، الطبعة الأولى د.ت، تحقيق: د.عبدالعظيم الديب.
- الحليمي / المنهاج في شعب الإيمام / تحقيق: حلمي محمد فودة، دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

- خلدون الأحدب / سوانح وتأملات في قيمة الزمن، مكتبة دار الوفاء للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٤٠٧هـ.
- الراغب الأصفهاني / الذريعة إلى مكارم الشريعة، بتحقيقنا دار الوفاء / ١٩٨٨م.
- رزق يوسف الشامي / مناهج علماء الكلام / بحث للدكتوراه مخطوط بدار العلوم / ١٩٩٠م.
- سيد قطب / خصائص التصور الإسلامي / طبعة الاتحادات الطلابية بأمريكا.
- سيد قطب / في ظلال القرآن / الطبعة الشرعية التاسعة، ١٩٨٠م، دار الشروق، بيروت.
- سيوطي / الإتقان في علوم القرآن / طبعة الحلبي، د.ت. ال
- عبدالحليم عويس / تفسير التاريخ علم إسلامي / دار الصحوة، ١٩٨٧م، مصر.
- عبدالحميد صديقي / تفسير التاريخ.
- عبدالله الشاذلي / ملكات الوعي في القرآن الكريم / ٤٦ طبعة أولى، ١٩٨٧م، دون ناشر.
- عبدالفتاح أبو غدة / قيمة الزمن عند العلماء، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- العقاد / الإنسان في القرآن / موسوعة العقاد الإسلامية.
- العقاد / الفلسفة القرآنية / موسوعة العقاد الإسلامية.
- عمادالدين خليل / التفسير الإسلامي للتاريخ / دار العلم للملايين، بيروت / الطبعة الأولى ١٩٧٥م.
- القرطبي / تفسير الجامع لأحكام القرآن / نشر المكتبة العربية، مصر ١٩٦٧م.

- كاظم الجوادي / مترجم: تفسير التاريخ / الدار الكويتية للطباعة والنشر.
- المباركفوري، محمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم أبو العلي / تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ط٢، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة.
- محمد الجليند / نظرية المنطق، طبعة أولى.
- محمد بيومي مهران / دراسات تاريخية في القرآن الكريم، ٢٢٩، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- محمد رشيد رضا / تفسير المنار، طبع بيروت ١٣٦٧هـ.
- محمد قطب / حول التفسير الإسلامي للتاريخ / نشر المجموعة الإعلامية، جدة، د.ت.
- محمد قطب / الإنسان بين المادية والإسلام، طبعة أولى.
- محمود الشرقاوي / التفسير الديني للتاريخ.
- مسلم / صحيح مسلم.
- مصطفى محمد حلمي / مناهج البحث في العلوم الإسلامية، الطبعة الأولى.
- النسائي / سنن النسائي.
- النووي / شرح صحيح مسلم.
- يوسف القرضاوي / الوقت في حياة المسلم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.